التعليم عن بعد

١٤٣٤ هـ

محتوى مقرر

النظريـــات الاجتماعية

لـ د . فهد بن عبدالرحمن الخريف

IbtiHAlinO

للحصول على الملزمة من الإنترنت : Ibtihalino.blogspot.com

المحاضرة التعريفية

محتويات المقرر :

١. في معنى النظرية الاجتماعية .
٢. التطور التاريخي للنظرية الاجتماعية .
٣. النظرية العضوية .
٤. النظرية البنائية الوظيفية .
٥. نظرية الصراع الكلاسيكية – و المعاصرة .
٦. النظرية السلوكية – التفاعلية الرمزية .
٧. النظرية النقدية – ما بعد البنيوية .
٨. نظرية ما بعد الحداثة .

اهداف المقرر :

١. أن يتعرف الطالب على مفهوم النظرية الاجتماعية
٢. أن يدرك الطالب أهمية التنظير في العلوم الاجتماعية
٣. تنمية قدرة الطالب على التحليل و معرفة أسباب الظواهر الاجتماعية
٤. تمكين الطالب من فهم التوجهات النظرية التي أحدثت تغيرات جذرية في المجتمع البشرى
٥. أن يتعرف الطالب على قدرة النظرية في تفسير الواقع الاجتماعي

المراجع و المصادر التعليمية :

المرجع الرئيس :

- عبد الباسط عبد المعطى ، ١٩٩٥ ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية
- طلعت إبراهيم لطفى و كمال عبد الحميد الزيات ، ١٩٩٩ ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع . القاهرة : دار غريب

المراجع المساعدة :

- السيد عبد العاطي ، ٢٠٠٠ ، النظرية في علم الاجتماع. الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية
- أنتوني غدنز ، ٢٠٠٢ ، مقدمة نقدية في علم الاجتماع ، ترجمة أحمد زايد و آخرون. القاهرة : مركز البحوث والدراسات الاجتماعية
- أحمد زايد ، ٢٠٠٤ ، علم الاجتماع و دراسة المجتمع : المداخل النظرية. القاهرة : مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية
- معن خليل العمر ، ١٩٩٧ ، نظريات معاصرة في علم الاجتماع. دار الشروق
- سمير نعيم أحمد ، ١٩٨٢ ، النظرية في علم الاجتماع ، الطبعة الثالثة. القاهرة : دار المعارف

المراجع و المصادر المساعدة :

١. المحاضرات المعدّة من أستاذ المقرر على برنامج العرض(PowerPoint) أو على برنامج (Word).
٢. الشبكة العنكبوتية (الانترنت)

الساعات المكتبية الجوالة :

البريد الإلكتروني: **D.Fahadk@gmail.com**

في معنى النظرية الاجتماعية

العلاقة بين النظرية و الواقع :

يفتَرِض كثير من الناس أن هناك فجوة واسعة بين النظرية و الواقع ، إذ يُنظر إلى النظرية باعتبارها شيئا مبهماً و غامضاً ، و مجالا خاصا للمفكرين و الفلاسفة و حدهم ، ومن ثمّ فلا صلة بين النظرية و الواقع ، ذلك الواقع الذي ينظر إليه الناس على أنه عملي و جزء من الحقيقة و يختص بشئون الحياة اليومية .

ما سبق من رؤية تعد مشوهة و خاطئة ، و تعكس رِدَةً في الفكر الإنساني ، و على نقيض الرأي السائد بين الناس ، فإذا نظرنا إلى حقيقة العلم و مضمونه نجد أن العلم ما هو إلا منهج لتسجيل الخبرات البشرية و الربط بين عناصرها على أسس عقلية ، **و تعتبر النظرية** ما هي إلا مجموعة من الروابط العقلية التي تشرح و تفسير كيف تعمل ظاهرة معينة (اجتماعية أو طبيعية) في حياتنا اليومية .

بل ربما كان الربط بين الظواهر هو المهمة الأولى للعلم ، فأنه لا يقتصر دوره على جعل معرفتنا المتشعبة قابلة للتعامل معها بطريقة منتظمة ، بل تمتد إلى تنمية معرفتنا الحاضرة و المستقبلية ، و وظائف العلم هذه هي ما يلخصها العلماء في **أربعة أهداف لأية علم** من العلوم ، وهي (الوصف و التفسير و التنبؤ و التحكم) . كما أن الربط بين الظواهر يكشف عن خبراتنا التي تُظهِر للوهلة الأولى أنها متفرقة أو متباينة ، لذا نجد أن العلماء يضحون بآرائهم السابقة من أجل تحقيق الربط العقلي بين ملاحظاتهم ، لأنهم يخشون الأشياء المبعثرة أكثر من خشيتهم من الأشياء المبهمة .

و المقصود بالربط العقلي Rational correlation : هو عملية التفسير أو يعني العلاقة المنطقية بين الظاهرة موضوع البحث و بين ظاهرة أخرى أو مجموعة من الظواهر سواء كان هذا الربط مباشراً أو غير مباشر ، فمحاولة الربط بين الظواهر كما يمارسها العلم تقوم على أسس عقلية ، كالمقارنة و استنباط أوجه الشبه الكلية و إمكان القيام بعدد من التجارب و المشاهدات للتأكد من ثبات الارتباط .

و كذلك يلاحظ أن **الربط العقلي** أيضا يمثل الأساس في قدرتنا على التنبؤ ، ذلك أننا إذا استطعنا أن نكشف عن ارتباط دائم بين (أ و ب) فإنه كلما شاهدنا (أ) أمكننا أن نتنبأ بحدوث (ب) .

و هكذا نرى أن النظرية هي شيء لصيق بالواقع العملي و الحياة اليومية ، إذ من خلال ما سبق تمثل النظرية الأساس لكل أجزاء المعرفة الإنسانية و أساس للتفسير اليومي الذي يقوم به الفرد للظواهر الاجتماعية و الطبيعية . إن مثل هذه التفسيرات اليومية هي متضمنة في الملاحظات العملية ، أي فيما نلاحظه يوميا و نحاول تفسيره و فهمه .

ثم إذا نظرنا إلى **عملية التنظير** Theorizing نفسها وهي ما نعني به : (تكوين و تحسين الشروح التفسيرية) نجد أنها عملية يقوم بها الإنسان بصفة دائمة ، بوصفها عملية أساسية للمعرفة العملية و التأثير الاجتماعي المتبادل ، أي التفاعل الاجتماعي اليومي .

و هكذا سواء حاول عالِم الطبيعة شرح بناء الخلية و ذراتها و مكوناتها ، أو حاول أبٌ مساعدة ابنه لماذا يجب أن لا يكذب أو لماذا يجب أن لا يغش ، ففي كلتا الحالتين هي محاولة لشرح و تفسير ما يمكن أن يحدث من اضطراب في العلاقات الطبيعية و الاجتماعية (نتيجة للكذب أو الغش) . فالعالِم و الأب قاما بعملية التنظير (تكوين وتحسين الشروح التفسيرية) ، إذن فالنظرية متضمنة في كل هذا بطريقة ما ، بمعنى مجموعة العلاقات و المترابطة عقلياً بين بعض خبراتنا البشرية .

و لهذا يمكن أن نلاحظ أن النظرية متضمنة في العلاقات المتبادلة بين الأشخاص ، وفي المجهودات العلمية الإنسانية . ذلك بسبب أن الناس عادةً يميلون إلى تعليل و تفسير بيئتهم الاجتماعية و النفسية .

غير أن **هذه العملية (التعليل و التفسير)** تحدث داخل بيئة اجتماعية محددة ، بتحديد من الفكر و الأيديولوجيا السائدين و تجارب التاريخ من أجل تعريف الحقيقة الطبيعية و الاجتماعية في هذا البناء . فتفسير ظاهرة المطر في ثقافة بدائية يختلف تماما عن تفسيرها في ثقافتنا .

و بالمثل في المجال الاجتماعي فنظريةٌ في الاقتصاد في ثقافة غربية أو شيوعية تختلف تفسيراتها عن نظرية في ثقافة إسلامية .

ما النظرية الاجتماعية ؟

اختلف مفكرون كثيرون في تعريف النظرية و تحديدها ، لكن يمكن القول بأن النظرية الاجتماعية مجموعة من الافتراضات التي تهتم بالمجتمع و الظواهر الاجتماعية ، على أساس أن المجتمع وظواهره لهما واقعهما الاجتماعي المنفصل عما عداه من الظواهر ، ولقد بذل دوركايم جهدا منهجياً كبيراً من أجل تحقيق هذا الهدف ، و أصبحت هذه حقيقة يأخذ بها كل علماء الاجتماع .

كما أن النظرية الاجتماعية **تقف في تضاد مع أنساق التفكير المبكرة** التي كانت تتسم بالأسطورة و الخيال و الثيولوجيا و الطبيعية عند شرحها و تفسيرها للظواهر الاجتماعية . فالنظرية الاجتماعية الحديثة تقوم على أساس وجود النسق الاجتماعي (المجتمع) كذات مستقلة في تعارض مع الظواهر الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) أو الثيولوجية (الدينية) .

ومن ثمّ يمكن اعتبار أن النظرية الاجتماعية نشأت لتبرز تطور و نمو نمط و نسق من التفكير الذي حلت فيه فكرة واقعية المجتمع و الحقيقة الاجتماعية محل التفسيرات السابقة التي كانت سائدة في منتصف القرن (١٩م) وما قبله ، ومن ثمّ صاغ المنظرون Theorists مفاهيما عن الحقيقة الاجتماعية و استخدموها في شرح الظواهر الاجتماعية .

وهكذا أصبحت النظريات الاجتماعية تقدّم مفاهيما عن النظام الاجتماعي و الحالة التي يتغير فيها ، أي تقدم مفاهيما عن بناء المجتمع و العمليات الاجتماعية Social process . فإذا كانت النظرية الاجتماعية هي : مجموعة من الافتراضات التي تحاول شرح و تفسير العلاقات بين الظواهر الاجتماعية . فطبقا لذلك تصبح النظرية الاجتماعية عبارة عن قضايا تجريدية و منطقية مصاغة في شكل مفاهيم اجتماعية .

ولكن ذلك لا يعني أن النظرية الاجتماعية هي مجرد مجموعة من المفاهيم الاجتماعية المتراصة عشوائيا ، بل إن المنظِّر Theorist عندما يكتشف بعض المفاهيم النظرية Social consepts يتجه إلى الربط بين اثنين أو اكثر من هذه المفاهيم في شكل تقارير عن الحياة الاجتماعية Statements .

و مهما بلغنا من الدقة في وصف ظاهرة معينة بمفهوم علمي ، إلا أننا لا نستطيع استخدام ذلك المفهوم للشرح و التنبؤ ، إلا من خلال الوصول للتقرير النظري السابق .

فمثلا بمجرد أن نفترض Hypothesis (أنه كلما زادت درجة تركيز التنظيم كلما زادت الكفاءة الإنتاجية) على حد قول ماكس فيبر ، أو (كلما زادت كثافة السكان زاد تقسيم العمل) كما قال دوركايم أو (كلما زادت حدة التدرج الطبقي كلما زاد الصراع الاجتماعي) وفقا لماركس أو (كلما زاد الصراع كلما زاد التكامل الاجتماعي) على حد قول سيميل ، نلاحظ أنه في هذه التقارير قد تحركنا من مجرد الوصف إلى شكل من أشكال التنبؤ .

و تجدر الإشارة إلى أن هناك عددا من المصطلحات و المفاهيم التي تشيع الاضطراب و الحيرة حول اصطلاح التقرير النظري ، ومن بين تلك المصطلحات : الفرض Hypothesis و القضية Proposition و البديهية Axiom و الافتراض Assumption الخ ، وفي الحقيقة أنه لكل من المفاهيم السابقة معناه الذي يكون غير واضح أحياناً ، فقد أشار (زيتربرج) إلى أن الفرض هو تقرير نظري غير مثبت بينما القضية مثبتة و مبرهنة بالدلائل .

و بالمثل تعمل كثير من المفاهيم على إبهام و غموض اصطلاح النظرية ، ذلك أن هذه المفاهيم تفتقد قوة التفسير، مما يجعل الأمر يختلط على كثير من الدارسين . و أهم تلك المفاهيم : **الوصف** Description ، و **التنميط** Typology ، و **النموذج** Model ، و **التنبؤ** Prediction .

و مما يزيد الأمر صعوبة أنه لا يوجد اتفاق بين علماء الاجتماع على تعريف واحد للنظرية ، لذا من المهم التمييز بين النظرية و تلك المفاهيم السابق ذكرها حتى يتضح لنا تماما معنى النظرية ، و أبرز صفاتها و خصائصها الأساسية .

إن الوظيفة الأساسية لنظرية ما هي : محاولة تفسير أو شرح علاقة الظاهرة موضوع البحث و ظاهرة أو ظواهر أخرى ، أي أن الوظيفة التفسيرية هي التي تميز النظرية عن تلك المفاهيم التي لها علاقة بالنظرية لكن ليس لها قدرة تفسيرية .

مفاهيم ترتبط بالنظرية الاجتماعية :

فمفهوم الوصف : يشير إلى تحديد أو سرد خصائص ظاهرة ما دون تفسير لوجودها أو تغيرها ، فوصف لثقافة فرعية مينة كثقافة زنوج وسط أفريقيا لا يفسر علة وجود مثل هذه الثقافة ، ولا يشرح التطور و التغير في تلك الجماعة .

و يدل مفهوم التنميط : على مجموعة من الخصائص أو المميزات يفترض أنها تشير إلى ظاهرة معينة أو أن هذه تعبر عن هذه الظاهرة تعبيرا نمطيا . فمثلا فالتنميط للأسرة كأسرة نووية أو ممتدة لا يشرح ذلك أو يعلل شيئا داخل مثل هذه الوحدة الاجتماعية .

و كذلك **ينظر إلى النماذج :** أحيانا باعتبارها (أنماطا) وتقوم النماذج على ملاحظة أقل دقة ، كما تحدد العلاقات المتداخلة بين الخصائص ، لكنها تفتقد القوة التفسيرية ، فمثلا نموذج المجتمع الصناعي المتقدم في المستقبل يمكن أن يكون مفيدا ، و يمكن أن يكون مقاما على أساس بيانات تجريبية . لكن تلك النمذجة لا تفسر التطور أو تفسر بناء ذلك المجتمع أو العمليات الداخلية في مثل هذا المجتمع أي النموذج المقترح ، أي أنه ينقصه القوة التفسيرية .

أما التنبؤ : فيعني : أن المرء يمكن أن يعرف موقف فرد بالنسبة للمتغير(س) بناء على معرفة موقفه من المتغير (ص) و ذلك من خلال ارتباطات و علاقات تجريبية و مشاهدات سابقة قد لوحظت بين المتغيرين ، وقد يكون بمقدور الباحث أن يقدّم و يعرض مستويات أعلى من التنبؤ ، لكن دون أن يستطيع فهم هذه العلاقات و يفسرها . فالمعلم على سبيل المثال قد يكون قادرا على التنبؤ بدرجات طلابه من خلال منجزاتهم على مدار العام الدراسي ، بل وبدرجة عالية من الصحة ، دون أن يكون قادرا على تفسير العلاقات ، خاصة عندما يتفوق طالب في مقرر و يخفق في مقرر آخر **. و هكذا فالتنبؤ** بحكم طبيعته لا يقدم بأي حال نظرية ما أو يقدم تفسيرا و شرحا لها .

و نخلص إلى أن كل المفاهيم السابقة (الوصف و التنميط و النماذج و التنبؤ) هي أجزاء من بناء النظرية لكنها لا تفسر وحدها الظواهر ولا العلاقة بين متغيراتها ، وهذا ما يؤكد أن الوظيفة الأساسية للنظرية هو قدرتها التفسيرية .

تعريف النظرية من حيث البناء :

ومن أجل إلقاء الضوء على الخصائص الأساسية لنظرية ما ، سيتم استعراض بعض تعريفات كبار دارسي النظرية و أعطوا اهتماما كبيراً بها :

١- تعريف (بلالوك) النظرية : يجب أن تحتوي على قضايا أشبه بقوانين تربط بين مفهومين أو متغيرين أو أكثر في الوقت نفسه .
٢- تعريف (ويلر) النظرية : هي مجموعة متكاملة من العلاقات المتكاملة ذات مستوى معين من الصدق .
٣- تعريف (هيج) النظرية : هي مجموعة من القضايا أو الأحكام النظرية .

يلاحظ أن كل واحد من هؤلاء الكتّاب – وغيرهم – يركز على جانب محدد من جوانب النظرية ، يختلف فيه عما اهتم به دارس آخر لها . إلا أنه يمكن ملاحظة عدداً من الخصائص العامة المشتركة عند صياغة النظرية كـ : التجريد ، المنطق ، القضايا ، التفسيرات ، و الربط بين العلاقات ، و أخيراً القبول من المجتمع العلمي . لذا يمكن تعريف النظرية بأنها : (مجموعة من القضايا المجردة و المنطقية تحاول تفسير العلاقة بين الظواهر المدروسة) .

و مما سبق يمكن ملاحظة أن أساس أي نظرية هو ذلك النموذج الذي تقدمه كتفسير للحقيقة الاجتماعية أو الطبيعية . و عادة ما يتكون ذلك النموذج من عنصرين ، هما :

مفهوم Concept عن الظاهرة ، مثلا يمكن النظر إلى المجتمع كمجموعة من النظم المتساندة .

افتراضات Assumptions توضح العلاقات السببية ، مثل وجهة النظر التي تعتبر ان البناء الاجتماعي يتطور في استجابة لحاجات النسق أو الوظائف الأساسية لمجتمع .

تعريف النظرية في علم الاجتماع من حيث هدفها :

١- مجموعة من الافتراضات التي تهتم بالمجتمع ، تحاول شرح و تفسير العلاقات بين الظواهر الاجتماعية و التنبؤ بها .

٢- مجموعة من العلاقات تستخدم لشرح و تفسير كيفية عمل و تفاعل مجموعة من الظواهر .

٣- تراكم مترابط و مفاهيم وتصورات تأخذ شكلا منظما بقصد تفسير الأحداث الاجتماعية و بلورة " قوانين " لها القدرة على التعبير عن الواقع و التنبؤ به .

٤- مجموعة من القضايا المقبولة و المنطقية تحاول تفسير العلاقة بين الظواهر .

بناء النظرية الاجتماعية و أنماطها و نماذجها الكبرى

بناء النظرية :

يتطلب بناء النظرية الاجتماعية إلى العديد من الخطوات و المراحل ، هي :

١- نموذج النظرية :

الأساس لأي نظرية هو نموذجها الذي تبرزه ، و الذي يتركب من صياغة مفاهيم معينة عن الظواهر ، و العلاقات التفسيرية الهامة التي توضح و تعلل حالة الظاهرة عند عملها و تفاعلها ، وهكذا تكون الظواهر موضع البحث قد تم تعريفها من خلال مفاهيم محددة ، و يبدو أن هذه النماذج في نظرية علم الاجتماع تأخذ شكلا واحدا من أشكال ثلاثة أساسية ، هي :

أ - نظرية عامة تصور المجتمع باعتباره نسقا متكاملا يؤدي وظائفه ، (وهذا هو الشكل أو المدخل الوظيفي البنائي).

ب - نظرية عامة تركز على المجتمع باعتباره نسقا ديناميكا متغيرا يسيطر عليه الصراع باستمرار ، و يقوم على التنافس و الاستغلال ، (و هذا الشكل هو مدخل الصراع الراديكالي).

ج - نظريات تهتم بالظواهر الاجتماعية على مستوى العلاقات بين الأشخاص ، أي المستوى الضيق المحدود ، و يركز على عمليات مثل التنشئة و سلوك الدور (وهذا المدخل هو السلوكية الاجتماعية).

٢- المفاهيم :

يتضمن أي نموذج مفاهيم معينة ، وهي عبارة عن اسم أو عنوان لمجموعة من الظواهر ، مثل (الشخصية ، الطبقة الاجتماعية ، التغير الاجتماعي) وهذه المفاهيم تحتاج إلى عناية فائقة في تحديدها ، و أن توضح بدقة علاقتها بالنموذج الموضوع .

٣- العلاقات المنطقية بين المفاهيم :

تحتاج العلاقات المنطقية بين تلك المفاهيم إلى تأكيد ، أي ان تكون مترابطة منطقيا و نظرياً ، و شكل تلك العلاقات قد يكون مسلمات أو قضايا أو تقارير ، كما أن تلك العلاقات قد تكون إيجابية أو سلبية ...الخ .

٤- الاجراءات :

تحتاج المفاهيم و حالات العلاقات إلى أن تعرّف إجرائيا و تجريبيا في شكل متغيرات ، مثل اختبارات الشخصية ، و مقاييس الطبقة الاجتماعية و مقاييس معدلات الحراك الاجتماعي الخ ، و يجب أن يقاس كل متغير بعدد من الفقرات الخاصة في استمارة البحث .

٥- المنهج :

و يقصد به المنهج التجريبي لاختبار الفروض ، بمعنى اختبار العلاقات التي افترض الباحث وجودها بين المتغيرات ، و يتوقف اختيار المنهج على نوع الدراسة ، و طبيعة متغيراتها ، كما أن فاعلية المنهج المستخدم مقيد بقدرة الباحث على إتقان البحث و التقليل من خطاء القياس و خطأ تحليل البيانات .

٦- تحليل البيانات:

بعد جمع البيانات فإنها تحتاج إلى تحليل في ضوء الفروض الأساسية للنظرية ، و يستخدم في تحليل البيانات التقنيات الإحصائية المختلفة التي يجب أن تستخدم بأسلوب علمي ، وفي حالة استخدامها بشكل خاطئ أو بسذاجة ، فهذا يقود إلى أخطاء بالغة في نتائج البحث .

٧- تفسير البيانات:

بعد تحليل البيانات يجب على الباحث تفسير نتائج البيانات في ضوء بناء نظريته ، من حيث نموذجها الأساسي و مسلماتها و قضاياها و فروضها .

٨- تقييم النظرية :

و أخيراً يبحث المنظر (الباحث) عن تقييم النظرية في ضوء معيارين :

١- كفاءة و مجال و منطق بنائها النظري .
٢- مستوى قابليتها للاختبار و التنبؤ و الدقة عندما تخضع للاختبار التجريبي .

و عند هذه النقطة يكون للباحث عددا من البدائل الممكنة :

- تأكيد النظرية .
- إما شطب النظرية كلية .
- و إما تعديل نموذجها الأساسي و تنمية مسلمات و قضايا و فروض أكثر .
- أو استخدام منهج جديد .

وهنا يجب أن لا ييأس المنظِّر و ذلك لأن عملية التنظير هي عملية مستمرة و ديناميكية تخضع لتغيير و تعديل مستمر .

أنماط (أنواع) النظرية الاجتماعية :

يتباين علماء الاجتماع في درجة نظرتهم إلى النظرية الاجتماعية ، وفيما يلي استعراض أبرز أنماط النظرية الاجتماعية وفقاً لاختلاف منظروها :

١. **النظريات المنطقية في مقابل اللامنطقية :** أي التي تقوم على قوانين المنطق ، و ذات طابع علمي و تستند إلى فروض و تهدف إلى الوصول إلى أحكام يقينية ، وقد تفتقد إلى ذلك فتسمى حدسية ، و النظريات المنطقية تكون في العلوم الطبيعية .

٢. **النظريات الوصفية مقابل التفسيرية :** أي تهدف إلى وصف الواقع أو الظاهرة دون محاولة تفسيرهما ، وقد تفشل النظرية عن التفسير بسبب غياب أو عدم وضوح نموذجها الأساسي .

٣. **النظرية الأيديولوجية مقابل العلمية :** أي التي لا تكون موضوعية (علمية) بل موجهة فكريا ، و يلاحظ أنه لا نظرية كاملة الموضوعية في علم الاجتماع ، فكلها أيديولوجية ولكن بنسب متفاوتة .

٤. **النظرية الحدسية في مقابل الموضوعية :** أي التي تتبع المنهج الذي يدعي أن المعرفة ذاتية " حدسية " في مقابل النظريات الموضوعية التي تقول بخارجية الظواهر ، و أنه يجب تطبيق المنهج الموضوعي (العلمي) لدراستها .

٥. **النظريات الاستقرائية في مقابل الاستدلالية :** أي التي تنطلق لفهم الواقع من الجزء وصولا للكل ، و الاستدلالية على العكس من ذلك ، و أغلب نظريات علم الاجتماع هي من النوع الاستدلالي (الاستنباطي).

٦. **نظريات الوحدة الكبرى (طويلة المدى) في مقابل نظريات الوحدة الصغرى :** و يتوقف ذلك على المستوى التحليلي للنظرية ، فالأولى تميل إلى تعميم تفسيراتها للظواهر في حين تميل الأخرى للتخصيص أكثر من التعميم .

٧. **نظريات بنائية في مقابل الوظيفية :** أي تهتم بتفسير بناء (وجود) الظواهر الاجتماعية ، في مقابل التي تهتم بتطور الظاهرة و تغيرها ، وفي علم الاجتماع تمثل النظرية الوظيفية الاتجاه البنائي ، بينما الصراعية تركز على ديناميكية المجتمع .

٨. **النظريات ذات الاتجاه الطبيعي في مقابل الاجتماعي :** حيث تهتم بتفسير الظواهر الاجتماعية بعوامل طبيعية ، كالنظرية العضوية أو الجغرافية ، في مقابل ذات الاتجاه الاجتماعي التي تفسر الظواهر الاجتماعية بعوامل اجتماعية بحته ، كالتصنيع أو تقسيم العمل ... الخ .

ما سبق من استعراض يوضح اختلاف النظريات الاجتماعية في أنماطها .

الأنماط الكبرى للنظرية الاجتماعية :

أولاً : النمط العضوي – الوظيفي – البنائي :

ينظر هذا النمط للمجتمع على أنه نسق ذو أجزاء مترابطة وظيفيا .

و الشكل الأول من هذا النمط هو تلك الدراسة العضوية التي تعتبر أن هناك عدد من القوانين الطبيعية تتفاعل في المجتمع بأسلوب ميكانيكي عضوي .

و الشكل الثاني للدراسة العضوية هي النظرة إلى المجتمع على انه كائن عضوي ، و يبدو ذلك في كتابات دوركايم و تونيز و غيرهم ، فهؤلاء العلماء يعتبرون المجتمع عضوي يعتمد على نسق تقسيم العمل ، و الذي بدوره مرتبط بأنواع من المعايير أو الإرادة الاجتماعية التي تربط الفرد بوضعيته الاجتماعية ، وهذه الدراسة تركز على الناحية الاجتماعية أو النسقية أكثر من الظواهر الطبيعية .

ولكن كلاً من الشكلين يعتبر عضوي في نظرته للمجتمع على أنه نسق عضوي متكامل .

و يعتبر النمط (الاتجاه) الوظيفي البنائي هو الاتجاه المعاصر للاتجاه العضوي السابق و الذي كان الخطوة الأولى في هذا النوع من الدراسة ، و يركز هذا الاتجاه الحديث على أسلوب يعرض النسق الاجتماعي (المجتمع) على أنه يتضمن عددا من الوظائف الهامة أو المشاكل المجتمعية التي امكن حلها اجتماعيا عن طريق تطور عدد من الأنساق الاجتماعية الفرعية .

و يلاحظ أنه بصفة عامة تتجه النظريات العضوية – الوظيفية – البنائية غلى محاولة صياغة مفاهيم عن المجتمع على أنه نسق عضوي متكامل سواء عند مستوى تحليل الوحدات الصغرى او الوحدات الكبرى . و تعتبر المجتمع نسقاً يتطور نحو مزيد من التكامل الاجتماعي و مزيدا من الكفاءة الذاتية .

وهذه النظريات لها جذور في فلسفة عصر التنوير ، ثم زادت دقتها شيئا فشيئا ، أولا بتلك المناظرات البيولوجية التي كانت على اساس النظرية الاجتماعية في أيامها الأولى ، ثم انفصلت شيئا فشيئا أيضا لكن احتفظت بفكرة النسق و بنائه من أنساق فرعية تتكامل وظيفيا و تترابط عضويا ، وهي الفكرة التي نشأت أولا في العلوم الطبيعية .

ثانياً : نمط الصراع :

نظريات الصراع مثلها مثل النظرية الوظيفية البنائية من ناحية تركيزها على فكرة النسق الاجتماعي ، لكنها ترى ان الصراع يسود النسق الاجتماعي أكثر من الاستقرار و التكامل ، إذ أنه أثناء صراع الأفراد مع الطبيعة لإشباع حاجاتهم الأولية تظهر أنواع مختلفة من أشكال الصراع التي يعتبرها أصحاب هذا الاتجاه أنها أساس النسق الاجتماعي (المجتمع) و أساس تطوره . وهكذا يصبح النظام الاجتماعي في حالة صراع و تطور دائم .

تظهر دراسة الصراع الكلاسيكية في اعمال كارل ماركس ، و الذي استخدم المنهج الجدلي المادي لتحليل تاريخ الصراع البشري مع بعضهم البعض من ناحية وصراعهم مع الطبيعة من ناحية اخرى .

أما نظرية الصراع المعاصرة – أي الصراعية الكلاسيكية في شكلها الحديث - فهي تحاول تحسين و إضفاء مزيدا من الدقة على النظرة الماركسية من أجل جعلها تتناسب مع فهم المجتمع الصناعي الحديث و مشاكله . ومن أبرز علماء الصراعية الحديثة (رالف داهرندورف) الذي وضع نظرية حول صراع الجماعة ، وغيره من العلماء كلويس كوزر و رايت ميلز .

ثالثاً: النمط السلوكي الاجتماعي :

هذا النمط على عكس النمطين السابقين ، حيث يحلل و يفهم المجتمع عند مستوى الوحدات الصغرى و العلاقات الشخصية المتبادلة ، و تعتمد في تفسيرها على الاستقراء أكثر من الاستدلال . و بصفة عامة تنظر الى المجتمع من خلال الفرد و التنشئة الاجتماعية و أداء الدور و التبادل ، أكثر من اعتبارها المجتمع كنسق وظيفي ، و يظهر هذا النمط في أعمال جورج ميد و بلومر وغيرهم .

التطور التاريخي للنظريات الاجتماعية

يحوي التفكير الاجتماعي في الحضارات القديمة في الصين و الهند و اليونان و الرومان بعض المشاهدات و التعميمات عن المجتمع الإنساني ، وما يحوي هذا المجتمع من ظواهر اجتماعية كالحرب و السلام و الجريمة و العقاب و العلاقات الاجتماعية و الثورات و النظم الاجتماعية .

ولكن الآراء التي يحويها التفكير الاجتماعي القديم و إن تناولت الموضوعات نفسها التي تتناولها النظريات الاجتماعية ، فإن منهجها في الوصول إلى أحكامها لم يكن يستند إلى الأساس المنهجي الذي تستند إليه النظريات الاجتماعية ، وذلك لما يلي :

١. أن هذه الآراء لم تستند الى المشاهدة المنظمة ، بل و استندت الى مشاهدات عارضة و أمثلة متفرقة ، بحيث يمكن للمفكر القديم أن يذكر تلك المشاهدات .

٢. أن هذه الآراء اصطبغت بطابع تقويمي ، يعكس وجهة نظر المفكر فيما ينبغي أن تكون عليه النظم الاجتماعية كالنظام الأسري و النظام السياسي و النظام الاقتصادي أكثر من استنادها الى الطابع التقريري الذي يقرر الحقيقة دون ربطها بأهداف أخلاقية .

* من هنا نستطيع القول أن علم الاجتماع لم يكتسب طابعا منظما قبل القرن (١٤م) حين نشر الفيلسوف العربي ابن خلدون مقدمته الشهيرة في عام ١٣٧٧م ، حيث ناقش لأول مرة في تاريخ الفكر الإنساني المشكلات الرئيسية التي يناقشها علم الاجتماع اليوم ، وذلك في ضوء التفرقة التي وضعها هذا المفكر بين (مجتمع البداوة و مجتمع الحضر). لذا يجب أن يوضع ابن خلدون في مصاف الرواد في علم الاجتماع بجانب أفلاطون و أرسطو و فيكو و كونت .

جذور النظريات الاجتماعية منذ عصر التنوير حتى الأزمنة الحديثة .

ظهر الاهتمام بالمشكلات التي تناولتها النظريات الاجتماعية منذ عصر النهضة ، مما أدى الى تزايد عدد الدراسات التي تناولت هذه المشكلات في القرنين (١٦م) و (١٧م) ولقد ظهرت هذه المشكلات في آراء ميكافيلي و فرنسيس بيكون و توماس مور و هوبز ، ولوك وغيرهم .

ولقد استندت الدراسات التي تناولت الظواهر الاجتماعية في هذه الفترة الى أساسين :

أولاً: الأساس النقدي :

يتمثل في رفض التسليم بالأحكام التي تتناول ظواهر المجتمع استنادا الى المشاهدات العارضة أو الآراء الشائعة أو المقيدة بالأحكام التقويمية (الذاتية).

ثانياً: الأساس الإيجابي :

يتمثل في استناد الباحثين في دراستهم للظواهر الاجتماعية الى قدر من الموضوعية و البعد عن الأحكام التقويمية و دراسة هذه الظواهر كما هي كائنة بالفعل وليس كما ينبغي أن تكون ، و الاستناد كذلك الى المشاهدات و المقارنات للوصول الى وصف تعميمي و تفسيرات عامة للظواهر الاجتماعية .

بيد أن هناك عاملين أساسيين طرءا على الفكر الإنساني لهما دلالتهما في الأصول الفكرية لعلم الاجتماع ، وذلك خلال القرنين (١٧م) و (١٨م) وهما :

١. **ظهور الفيزياء الاجتماعية** :

وهي حركة حاولت إقامة العلوم الاجتماعية على الأسس الميكانيكية و الكمية نفسها التي تستند اليها ميكانيكا نيوتن . ذلك أنه قد ظهرت خلال هذين القرنين حركة فكرية تحاول وضع علم كمي له من الفروع ما يتناول الظواهر النفسية و الأخلاقية و الاجتماعية و كان المبرر لهذه الحركة هو الاعتقاد بان القياس وحده هو الذي يكشف عن القضايا الصادقة .

وقد ظهرت في اطار هذه الحركة الفكرية الملامح الأساسية للفيزياء الاجتماعية التي تضع تصميما لدراسة الظواهر الاجتماعية على هدى من منطق و منهج الميكانيكا الفيزيائية و الهندسية ، و التي تستخدم في وصفها و تفسيرها لهذه الظواهر المفهومات و النظريات نفسها المستخدمة في هذين العِلمَين .

٢. **عوامل التغير الاجتماعي و الثقافي :**

تعتبر دراسة الباحث الإيطالي فيكو(١٦٦٨-١٧٤٤م) بعنوان « العلم الجديد » من أهم الدراسات تأثيرا في تاريخ علم الاجتماع ، ذلك أنها أول بحث منظم يتناول عوامل التغير الاجتماعي و الثقافي .

و لقد تتابعت الدراسات خلال القرن (١٨م) و أول القرن (١٩م) مستندة الى الدراسات الإحصائية الرياضية للسكان ، تلك الظاهرة التي وصلت دراستها الى مستوى دقيق على يد مالتوس .

هذا الوقت نفسه الذي تابع فيه رجال الاقتصاد و السياسة دراساتهم لتشمل المشكلات الرئيسية للمجتمع و لثقافته ، و لتحدد القوانين التي تخضع لها ظواهر المجتمع ، و لتناقش مشكلات المجتمعين الريفي و الحضري .

ولقد تحققت خلال هذه الفترة دراسات لها أهميتها في تاريخ علم الاجتماع منها :

١. دراسة مونتسكيو « روح القوانين » التي تعد أول دراسة منظمة في سوسيولوجية القانون .
٢. دراسة آدم فرجسون التي وضع فيها كثيرا من مبادئ علم الاجتماع العام .
٣. دراسة دي ميستر في سوسيولوجية الثورات .
٤. دراسة آدم سميث في الجوانب الاجتماعية لثورة الأمم التي أسهمت في إيضاح وجهة نظر علم الاجتماع في دراسة الظواهر الاقتصادية .
٥. دراسات كل من « ترجو و كوندرسيه و سان سيمون و هيجل » التي وضعت أساس نظريات التطور الاجتماعي و الثقافي ، وغير ذلك من الدراسات التي قام بها هربرت سبنسر و سمنر و غيرهما ، ولقد ظهرت في هذه الفترة المجلدات الستة التي كتبها أوجست كونت (١٧٩٨-١٨٥٨م) عن الفلسفة الوضعية ، حيث اكتسب علم الاجتماع اسمه كعلم مستقل و محدد . ولقد عرّف « كونت » هذا العلم بانه علم تعميمي يتناول البناء

البناء الاجتماعي و التطور الاجتماعي ، مُقسِّماً هذا العلم الى قسمين :

١- الاستاتيكا الاجتماعية : التي تتناول المجتمع في حالة استقراره .
٢- الديناميكا الاجتماعية : التي تتناول المجتمع في حالة تغير و تطوره .

و لقد حدث في الثلث الثاني من القرن (١٩م) تقدم ملحوظ في علم الاجتماع بفضل التحديات التي واجهت الآراء السائدة في الفكر الاجتماعي . وقد ظهر في هذه الفترة اتجاهان أساسيان في علم الاجتماع ، يشكل كل منهما صورة للتغير الاجتماعي .

أولاً: الصورة الأولى : تحاول تفسير الظواهر الاجتماعية تفسيرا يردها الى عوامل البيئة الجغرافية و المناخية و العوامل البيولوجية و العوامل النفسية ولقد ظهرت في إطار هذا الاتجاه المدارس الاجتماعية التالية :

المدرسة الجغرافية : التي تفسر الظواهر الاجتماعية في ضوء العوامل الجغرافية كالمناخ و الموقع و التضاريس . وقد ظهرت في إطارها محاولات لربط العوامل الجغرافية بالظواهر الاجتماعية المختلفة : كتوزيع السكان و خواصهم و كثافتهم و حجمهم ، بالظواهر الاقتصادية ، كالظواهر الدينية و التنظيمات السياسية و العسكرية و الجريمة .

المدرسة البيولوجية : التي تربط بين الظواهر الاجتماعية و بين الظواهر البيولوجية . و تقيم دراستها للمجتمع على أساس المماثلة بينه و بين الكائن الحي من حيث البناء و العمليات وفي إطار هذه المحاولات تم الربط بين العوامل البيولوجية المختلفة كالتكوين البيولوجي و السلالة و الوراثة ، و بين الظواهر الاجتماعية في مختلف مساراتها سواء كانت السلوك الاجتماعي للفرد أو سلوك الجماعات الصغيرة أو سلوك المجتمعات أو سلوك المجتمع الإنساني ككل .

المدرسة النفسية : وهي مدرسة ترد الظواهر الاجتماعية إلى العوامل النفسية كالغرائز و الرغبات و الانفعالات و الدوافع و الاتجاهات ، و تربط بين تلك العوامل وما يحدث في الواقع الاجتماعي من ظواهر و عمليات .

ولقد حقق هذا الاتجاه النفسي بعض الأهداف التي يتطلبها استخدام المنهج العلمي في دراسة الواقع الاجتماعي ، ولكن الأدوات التصورية و المفهومات و المصطلحات التي استخدِمت لم تكن قادرة على أن تصل إلى تعميمات شاملة تفسر الظواهر الاجتماعية .

ثانياً: الصورة الثانية : ظهرت في منتصف القرن (١٩م) بظهور أوجست كونت ، ومن الممكن أن نلمح في هذا الاتجاه صفتين واضحتين :

١. التحرر من مفهومات العلوم الطبيعية و البيولوجية : عند دراسة الظواهر الاجتماعية ، و وصف هذه الظواهر في إطار المجتمع و الثقافة و الجماعة و القيم الاجتماعية ، دون ردها إلى عوامل جغرافية أو بيولوجية أو نفسية كما في الاتجاه الأول .

٢. رد كل العلوم الاجتماعية إلى علم اجتماعي واسع الهدف : حيث تبِع هذا التحرر من محاولات كل العلوم الاجتماعية إلى علم اجتماعي واسع الهدف يتمثل في علم الاجتماع أو الفيزياء الاجتماعية Physical Sociology ، ولقد ظهر ذلك عند الرواد من أصحاب النظريات الاجتماعية مثل : أوجست كونت و هربرت سبنسر و ماركس ،..الخ .

ولقد نظر هؤلاء إلى علم الاجتماع على أنه محاولة فكرية تؤلف بين الحقائق و التعميمات التي تقدمها العلوم الاجتماعية المتخصصة ، ومن هنا أصبحت اهتمامات الباحثين اهتمامات موسوعية ، وفي هذا إغفال للموضوع المميز الذي ينبغي لعلم الاجتماع ان يجده لنفسه متخذاً إيّاه مجالا للدراسة .

الواقع أن الصورة الأولى تمثل اتجاها ردِّيّا ، لأنها ترد الظاهرة الاجتماعية الى عوامل غير اجتماعية مغفلة طبيعتها الاجتماعية المميزة لها ، وهي تكشف عن تعدد التفسيرات و تناقضها مما يظهر علم الاجتماع في صورة العلم القاصر غير المكتمل ، كما أن الصورة الثانية تمثل اتجاها موسوعيا يتعذر في ضوئه تحديد مجال أصيل تدور حوله دراسات علم الاجتماع .

و لهذا سعت الاتجاهات المعاصرة في علم الاجتماع الى مواجهة هذه الجوانب القاصرة بما يلي :-

١. القيام بوضع التفسيرات للظواهر الاجتماعية التي تتناسب مع طابعها الاجتماعي ولا تردها الى العوامل غير الاجتماعية ، ومن أبرز هذه المحاولات ما قام به إميل دوركايم .

٢. القيام بمحاولات لاستكمال التفسيرات المتعددة للظواهر الاجتماعية ، و محاولة إيجاد التكامل النظري في علم الاجتماع ، ومن أبرز هذه المحاولات محاولة سوروكين و باسونز وغيرهما .

٣. تحديد علم الاجتماع في ضوء وجهة نظر يأخذ بها العلم تستند الى الرؤية الكلية للمجتمع ، وما يترتب على ذلك من تساند ظواهره كما تستند الى الكشف عن الخواص المشتركة بين الظواهر الاجتماعية و بين فئة خاصة منها .

ولقد وضعت منذ عام ١٩٢٠م تفرقة بين كل ما هو اجتماعي يتناول ظواهر الواقع الاجتماعي ، كالظواهر الأسرية و الاقتصادية و السياسية و القانونية ... الخ . وما هو سوسيولوجي ينتسب الى علم الاجتماع ، و يتحدد بمقياس الرؤية الخاصة لعلم الاجتماع التي تكشف عن كلية المجتمع ، و كيفية أدائها لوظائفه ، و تحدد وحداته الأساسية ، و تظهر الكيفية التي تترابط بمقتضاها هذه الوحدات و تتساند لتقابل الحاجات الاجتماعية المتعددة ، و تكشف عن العمليات المعززة للاستقرار الاجتماعي أو المهددة لهذا الاستقرار ، و تشير الى انطواء الأفراد في إطار البناءات الاجتماعية .

ومن هنا ظهرت مفهومات علم الاجتماع : كالمجتمع و الجماعة و النظم و العمليات و الوظائف و البناء الاجتماعي و التفاعل و تقسيم العمل و التدرج و الضبط و التغير ، و بحث الظواهر الاجتماعية المختلفة في ضوء هذه المفهومات الأساسية .

الاتجاهات المعاصرة :

اتخذ علم الاجتماع وضعاً أكاديميا مستقرا ، حيث أنشئت أقسام لدراسة هذا العلم في أغلب الجامعات الكبرى في العالم ، و ظهرت الكتب و الدوريات المتخصصة و أسهم الباحثون في علم الاجتماع بخبرتهم في مجالات تطبيقية متعددة كمجالات التخطيط و التنمية و الخدمة الاجتماعية ، و قاموا ببحوث واقعية لدراسة مشكلات مجتمعهم .

ولقد برزت وجهة نظر علم الاجتماع التي تدعو الى الرؤية الكلية للمجتمع ، و الى ربط الظواهر الاجتماعية ببعضها ، و الى الكشف عن الخصائص العامة المشتركة بين كل فئات هذه الظواهر أو الخصائص المشتركة بين فئة منها ، وقد أثّرت هذه الوجهة من النشاط في كثير من العلوم ، فظهرت دراسات تتناول الظواهر التاريخية و الاقتصادية و الدينية و الفنية و الإدارية و الأخلاقية و اللغوية بوجهة نظر علم الاجتماع .

ولقد أسهم الباحثون في هذا العلم في تقدم عناصر البناء المنهجي للبحث الاجتماعي ، فاتجهت الطرق العامة للبحث الاجتماعي و أدواته و أساليبه ، لتحقق الدقة و الموضوعية في مراحل التصور الاجتماعي للظاهرة الاجتماعية ، مشاهدة الظواهر الاجتماعية ، وفي التعبير عن نتائج هذه المشاهدة ، و اتجهت الدراسات الى البحوث الاجتماعية الميدانية دون أن تقتصر على التأملات النظرية .

ولقد سعى الباحثون في هذا العلم الى إيجاد التكامل النظري في علمهم و إزالة التفسيرات المتناقضة للظواهر الاجتماعية ، و استكمال صورة التفسير ليبدو شاملا لتلك الظواهر أو لفئة منها. وهنا ظهرت النظريات المتكاملة عند سوروكين و بارسونز وغيرهما.

مراحل التصور الاجتماعي للظاهرة الاجتماعية :

١. مرحلة الفلسفة الاجتماعية :

وتضم هذه المرحلة النظريات التقويمية (الذاتية) التي تحدد وجهة نظر الفيلسوف الاجتماعي في أصلح أشكال المجتمعات أو النظم الاجتماعية و السياسية و القانونية و الاقتصادية و أنسب صور العلاقات و التفاعلات الاجتماعية .

ومن أمثلتها النظريات الاجتماعية لكل من أفلاطون و روسو و هيجل و سبنسر و سان سيمون . وقد سادت الفلسفة الاجتماعية في الفكر الأوربي من القرن (١٧م) حتى منتصف القرن (١٩م).

٢. مرحلة النظريات الاجتماعية :

سعت هذه المرحلة الى تحقيق الموضوعية و الطابع العلمي (الوضعي) في تفسير الظواهر الاجتماعية . ولقد تشكلت النظريات في هذه المرحلة في صورة أساسية :

أ- **النظريات الرديّة :** التي تفسر الظواهر الاجتماعية بردها الى عوامل و ظروف غير اجتماعية كالعوامل الجغرافية أو البيولوجية ... الخ .

ب- **النظريات الأحادية :** و التي استندت الى الأهداف العلمية نفسها ولكنها أقامت التفسير للظواهر الاجتماعية على أنها نتاج لمتغيرات و عمليات اجتماعية ، وقد رأى أنصار الأحادية أن نمطا واحدا من العمليات و الصور الاجتماعية يمكن أن يستند إليها الصور الأساسية للنظريات العامة .

تفسير نطاق واسع من الظواهر الاجتماعية ، ومن أمثلة ذلك :

- تارد في نظريته عن « المحاكاة » .
- سبنسر في نظريته عن « التباين » .
- ماركس في نظريته عن « نمط الإنتاج و الاقتصاد » .

الصور الأساسية للنظريات العامة :

يمكن تحديد الصور الأساسية التالية للنظريات الاجتماعية :

١. نظريات اختزالية تحدد الاتجاه الذي سارت عليه الظواهر الاجتماعية في نشأتها و نموها و تغيرها. ومن أمثلة هذه النظريات نظرية هربرت سبنسر في حركة التطور الاجتماعي من مرحلة المجتمعات المتجانسة الى مرحلة المجتمعات غير المتجانسة ، و نظرية العالِم الألماني تونيز في حركة التغير في العلاقات الاجتماعية من طابع المجتمع المحلي الى طابع المجتمع العام ، و نظرية تطور المجتمعات لدى دوركايم من مرحلة يسودها التضامن الآلي في المجتمع الى مرحلة يسودها التضامن العضوي ، بالإضافة الى نظريات زيميل و سوروكين و رودفيلد ..، و غيرهم في التطور الاجتماعي .

٢. نظريات أحادية تستند في تفسيرها لنشأة الظواهر الاجتماعية الى سبب واحد أساسي يصور حالة اجتماعية شاملة يُرجع إليها هذه الظواهر ومن أمثلتها : نظرية ماركس في نمط الإنتاج الاقتصادي و الوضع الطبقي و نظرية دوركايم في العقل الجمعي و نظرية جمبلوفتش في الصراع ، ولقد وجد هؤلاء و غيرهم التفسير الشامل لنشأة الظواهر الاجتماعية في تلك الظروف الاجتماعية .

٣. نظريات تعكس تسلسل العمليات الاجتماعية في المجتمع و يهدف هذا النوع من النظريات الى تنظيم الظواهر الاجتماعية استنادا الى تركيز الاهتمام في عدد محدود من العمليات الاجتماعية التي تفسر وفق إطار محدد و متكرر من التتابع الزمني ، ومن أمثلتها نظرية تادنر التي تحدد المسار الزمني المتتابع للظاهرة الاجتماعية في ضوء العمليات التالية : (الاختراع – المعارضة – المحاكاة – التلاؤم) ومن أمثلتها رأي بارسونز في تتابع تلك العمليات بمقتضى (الاتصال و الصراع و التلاؤم و التمثيل).

النظرية العضوية (أوجست كونت)

المدرسة الوضعية (العلمية) و النظرية العضوية :

المقاربة الوضعية هي : منهجية تحليلية تقوم على استبعاد لأنماط الفكر و التحليل اللاهوتي (الديني) و الميتافيزيقي (التجريدي = الطبيعة) من أي تحليل اجتماعي ، مقترحة بديلا عنهما الإنسان الذي بات يتمتع بقيمة مركزية في الكون ، وقد كانت ممهّداتها مع المفكّر الفرنسي " سان سيمون " قبل أن تتّخذ طابعها المتكامل كنسق فكري مع تلميذه " أوجست كونت ".

سان سيمون : ١٧٦٠- ١٨٢٥م :

يؤكد سان سيمون على استعمال أدوات المعرفة الوضعية و العمل على القضاء على الهوة الفاصلة بين البعد النظري و البعد التطبيقي للوصول إلى وحدة المعرفة ، هذا هو جوهر و فكرة الوضعية. لذا نجد (سان سيمون) يصر على استبدال المضمون القديم للمسيحية بمضمون جديد يعمل على تطويرها من الداخل هذا المضمون الجديد يتمثل في كتابه " النظام الصناعي " من خلال :

التأكيد على سعيه إلى تكوين مجتمع حر .
التأكيد على نشر المبادئ و القيم التي ستكون أرضية النظام الجديد .

العناصر الأساسية التي اعتمدتها المقاربة الوضعية مع "سان سيمون" هي :

١. تحييد الدين و الفكر اللاهوتي عن كل مشاركة في الحياة العملية .
٢. وضع أسس مشروع علمي و فكري و معرفي **يقوم على مبدأين أساسين هما :**

مبدأ العلمية ؛ فلا تعامل بعد الآن مع الظواهر و الأشياء إلا من منظور علمي .
مبدأ العلمنة و فيه تحييد صريح للدين .

هذه هي آليات التحليل العلمية التي ضمنها سان سيمون للمقاربة الوضعية وهي الآليات التي سنجدها مستعملة في نصوص " أوجست كونت " Auguste COMTE بطريقة أو بأخرى .

النظرية العضوية : أوجست كونت :

يعد النموذج العضوي في النظرية الاجتماعية أقدم أشكالها ، و ثمة ظروف اجتماعية و اقتصادية و فكرية أدت إلى ظهور و إرساء قواعد هذا النمط في النظرية الاجتماعية ، و إذا ما قبلنا الرأي القائل بأن النظرية الاجتماعية تعبر عن ردة فعل مجموعة من الاكاديميين و أهل العلم للمشكلات الاجتماعية اليومية ، فإننا نقول أن المبادئ الأساسية للنموذج العضوي دعا اليها جماعة من مفكري الطبقة العليا ، درسوا فلسفة عصر التنوير ، و آمنوا بها وتفاعلوا مع البيئة الاجتماعية و عاشوا أحداث الثورة السياسية الفرنسية و الانهيار الاجتماعي و التطور الصناعي بأوروبا .

وقد استفاد هؤلاء المفكرون من الادعاءات التي طرحها أنصار النزعة الطبيعية و النزعة العقلية و التطورية الاجتماعية و الإصلاح الاجتماعي و المنهج الوضعي ، و قدموا رؤية جديدة للمجتمع تركز على حاجات المجتمع و نظمه ، و يؤدي هذا المجتمع وظائفه وفق القوانين الطبيعية ، كما يفسر هذا المجتمع باعتباره نسقا يتكون من أجزاء مترابطة و يؤدي كل منها وظيفة من خلال تقسيم العمل أو بناء الأدوار ، وهذه الرؤية تشبِّه المجتمع بالكائن العضوي الذي يؤدي كل عضو من أعضائه وظيفة محددة ، كما صور المجتمع و كأنه جزء من النظام الطبيعي يتكور تلقائيا وفق حاجاته الأساسية .

وقد أعطى أنصار المدخل العضوي اهتماما أساسيا بالبناء الميكانيكي الآلي للكائن الاجتماعي (مثلما فعل كونت و سبنسر) أو الى النسق المعياري الذي يعتمد على تقسيم العمل (حسب رؤية دوركايم و تونيز) وفي كلتا الحالتين نظر علماء الاجتماع الرواد الى المجتمع باعتباره نظاما متكاملا يؤدي كل عضو من أعضائه وظيفة من أجل استمرار الكل ، و أن هذه المجتمع لا ينفصل عن النظام الطبيعي و أن تقسيم العمل هو أساس وجود المجتمع .

و يعبِّر النموذج العضوي عن رؤية شمولية تكاملية لتفسير الحاجات الطبيعية للمجتمع باعتبارها حاجات دائمة ، كما يحمل طابعا إيديولوجيا محافظا لتأكيده على أهمية توافق الفرد مع هذه الحاجات بدلا من السعي الى تغييرها أو التمرد عليها .

و ستفهم هذه الرؤية بشكل افضل عند إلقاء الضوء على جهود أبرز مفكري ذلك العصر ، درسوا التفكك الاجتماعي و الفوضى السياسية و الانهيار الاقتصادي ، و تنزع النماذج الشمولية الى الظهور في مثل تلك الفترات و خاصة بين أعضاء الصفوة ، و يرى هؤلاء المفكرون أن الوظيفة الأساسية لعلم الاجتماع في مثل هذا الموقف هي اكتشاف القوانين الأساسية للنظام الاجتماعي من أجل فهمه فهما أفضل ، ومن أجل السيطرة على أحداث هذا المجتمع بكفاءة أجدر .

فالمدخل العضوي باعتباره أقدم المداخل في النظرية الاجتماعية ، تبناه مفكرو الطبقة العليا و توحد مع تعاليم فلسفة التنوير استجابة للتطورات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية التي سادت في عصرهم ، و كانت النتيجة الأساسية لهذه العوامل ظهور نماذج في النظرية الاجتماعية تسعى الى التفسير الطبيعي و الشمولي التكاملي للمجتمع ، وقد انقسم انصار هذا التفسير الى اتجاهين أولهما يؤكد على الخصائص الآلية للمجتمع و الثاني يؤكد على الخصائص المعيارية للمجتمع .

الظروف التي أدت إلى نشأة النظرية الاجتماعية :

تعتبر النظرية الاجتماعية استجابة للظروف التي طرأت على المجتمعات الأوربية وقد ظهرت في أواخر القرن (١٩م) و بداية القرن (٢٠م) وذلك بعد الأحداث التي عصفت بالمجتمعات الأوربية في القرن الثامن عشر الميلادي وما قبله .

ومن تلك الأحداث البارزة التالي :

١. **الثورة الصناعية :** التي ألقت الضوء على ظروف المعيشية و ضرورة استخدام التكنولوجيا في المجال الزراعي لتحسين الظروف المعيشية .

٢. **الثورة الفرنسية** : التي رفعت شعارات بالمساواة والعدالة الاجتماعية و عملت على إلغاء الملكية المطلقة ، و الامتيازات الإقطاعية للطبقة الارستقراطية ، و النفوذ الديني الكاثوليكي ، و يمكن القول بأن المشكلات الاقتصادية و السياسية احتلت المقدمة في ظهور النظرية الاجتماعية الحديثة ، وذلك للتأكيد على أهمية فهم المجتمع كوحدة للتحليل في ذاتها من أجل مصلحة المجتمع .

٣. **الثورة الدينية** : التي خرجت على الكنيسة و رجال الدين الذين مارسوا القهر و التسلط الفكري و أقاموا محاكم التفتيش لإعدام كل من يخرج من المفكرين و العلماء على أفكار الكنيسة و تفسيرات رجال الدين للكون و الحياة .

٤. **الثورة الفكرية** : تأثرت النظرية الاجتماعية ببعض الأفكار مثل :

• **فلسفة عصر التنوير :** تلك الفلسفة التي قامت بالدفاع عن العقلانية و مبادئها كوسائل لتأسيس النظام الشرعي للأخلاق و المعرفة بدلا عن الدين ومن هنا نجد أن ذلك العصر هو بداية ظهور الأفكار المتعلقة بتطبيق العلمانية و المنهج العلمي عند دراسة المجتمع و التطور و التحديث و ترك التقاليد الدينية و الثقافية القديمة " نقد " و الأفكار اللاعقلانية ضمن فترة زمنية دعوها " بالعصور المظلمة ".

•**النزعة التطورية " دارون "** و التي سيطرت على تفكير كثير من علماء الاجتماع الأوائل ، الذين كانوا يتصورون أن الإنسان و المجتمع يتقدمان عبر خطوات محددة للتطور تنتهي إلى أعقد المراحل و أكملها.

• كما تأثرت النظرية الاجتماعية في نشأتها بالنزعة الطبيعية العضوية و العقلانية و الفلسفة البراجماتية .

نمط النزعة الطبيعية في النموذج العضوي :

يعتبر (أوجست كونت و سبنسر) أفضل مثالين لهذا النمط من النظرية الاجتماعية ، لذا من الضروري أن نعرض للظروف الاجتماعية و السياسية التي عاشها كل منهما .

أوجست كونت : ١٧٩٨- ١٨٥٧م :

وُلِد في فرنسا وهو ابن عائلة كاثوليكية تؤمن بالنظام الملكي ، و درس الطب و علم وظائف الأعضاء في معهد البولو تكنيك ، ثم القى دروس في الفلسفة الوضعية في مرحلة متأخرة ، كما وضع قواعد المنهج الذي يقوم عليه المجتمع الوضعي ، تعلم في بداية حياته مبادئ و أفكار التنوير و عاش الثورة الصناعية و الصراع المتزايد بين الدين و العلم .

و كانت أهم أعماله الأساسية دروس في الفلسفة الوضعية و ترجع شهرة كونت الى كونه أول من صاغ مصطلح " علم الاجتماع " Sociology بالغات الأوربية .

يعتبر كونت مثالا واضحا للتفسير الآلي في النظرية العضوية في علم الاجتماع و بتأثير المناخ الفكري في فرنسا في بداية القرن (١٩ م) و الظروف السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية حينئذ ، قدّم نموذجا محافظا متأثرا بالنزعة الطبيعية عن الحقيقة الاجتماعية يقوم على افتراضات طبيعية و حتمية عن الظواهر الاجتماعية .

وقد أثرت أوضاع و ظروف البيئة الاجتماعية التي عاشها كوت في تحديده لمهمة علم الاجتماع . إذ يرى كونت أن الهدف الأساسي لعلم الإجتماع هو رفض التفسير الثوري للمجتمع الحديث (إذ يرى كونت أن الثورة ليست وسيلة لبناء المجتمع ، بل انهيار خُلُقي) ولذا اهتم كونت بكيفية إعادة تنظيم المجتمع بالاستفادة من الفلسفة الوضعية .

و لما كان أوجست كونت يرى بأن الأساس الذي يقوم عليه المجتمع هو : مجموعة من الأفكار الأساسية السائدة في هذا المجتمع ، فإن وظيفة علم الاجتماع عنده هي الاهتمام بترسيخ هذه الأفكار التي تدعم النظام الأخلاقي . و ترتب على ذلك محاولة كونت اكتشاف شكل " للفيزياء الاجتماعية " يستطيع أن يرسي بها القوانين الاجتماعية و يعيد التنظيم و النظام الاجتماعي للمجتمع وفقا لنسق من القيم الذي أعطاه كونت قيمة كبرى ، و رأى أنه النسق الأكثر تمشيا مع الطبيعة ولذا يمكن القول بأن كونت حاول تطبيق مبادئ فلسفة عصر التنوير على مشكلات الثورة في عصره . و قدّم لنا نظرية عن التطور الاجتماعي أوضحت الأهمية الأساسية للعقل و القيم الاجتماعية المهيمنة .

ومن ثم نرى أن كونت كان يأمل من علم الاجتماع - ذلك العلم الجديد - إعادة إرساء نظام أخلاقي جديد يقضي على ما هو سائد حوله من مظاهر الفوضى الاجتماعية .

الافتراضات الأساسية عند أوجست كونت :

يمكن تلخيص الافتراضات الأساسية لعلم الاجتماع عند كونت على النحو التالي :

١. يرى (أوجست كونت) أن ثمة مجموعة من القوانين الطبيعية اللآمرئية - الخفية - تنظم الكون ، و تقف وراء تطور و نمو العقل أو المعرفة أو القيم الاجتماعية السائدة .

٢. أدرك كونت أن عملية التطور تتحقق في ثلاثة أطوار كبرى - **قانون المراحل الثلاث** -:

المرحلة الغيبية : التي تتميز بتقصي الأسباب الغيبية خلال قوى خارقة للطبيعة .
المرحلة الميتافيزيقية : و تتميز بالفكر المجرد و البحث عن العلل المجردة .

المرحلة الوضعية (العلمية) : و تتميز بنمو المعرفة النسبية ، و دراسة القوانين التي تحكم الظواهر ، وفي تلك المرحلة يسمح المنهج الوضعي لعالِم الاجتماع اكتشاف و فهم القوانين الطبيعية التي تحكم الظواهر الاجتماعية ، وهذا يؤدي به الى اكتشاف و فهم القوانين الطبيعية التي تحكم الظواهر الاجتماعية ، وهذا بدوره يؤدي به الى اكتشاف وحدةً فكريةً و نظاماً أخلاقيا يوحِّد بين التقدم و النظام مقابل مواقف الفوضى السائدة ، ومن ثَـمَّ يصبح علم الاجتماع علما متكاملا موحدا يعتمد على المنهج الوضعي (العلمي) ويساهم مباشرة في تطور النظام الأخلاقي الطبيعي .

٣. و تبعا لذلك ، رأى كونت أن جميع جوانب المعرفة هي جوانب اجتماعية بقدر ما تعكس و تمثل هذه المعرفة البيئة الاجتماعية التي تظهر فيها ، و كل طور من أطوار المعرفة يرتبط بمرحلة معينة من مراحل التطور الثلاث ، و يعبر عن بيئة اجتماعية لها ملامحها المتميزة .

٤. قسم كونت النسق الاجتماعي (المجتمع) الى جزئين أساسيين :

١- الاستاتيكا الاجتماعية : و يتكون من الطبيعة الاجتماعية الإنسانية و قوانين الوجود الاجتماعي للإنسان .
٢- الديناميكا الاجتماعية : أو قوانين التطور التغير الاجتماعي .

٥. يتضمن النسق الاجتماعي ثلاثة أنماط أساسية كبرى من الغرائز :

- غرائز المحافظة على النوع : (الغريزة الجنسية و الحاجات المادية) .
- غرائز تحسين الأوضاع : (العسكرية و التصنيع) .
- الغرائز الاجتماعية : (الترابط و الاحترام و الحب الشامل) و تقع وسطا بين غرائز المحافظة و التقدم و غرائز الغرور و التفاخر .

و يبدو التقدم الاجتماعي واضحا في سيطرة الغرائز الاجتماعية – على غرائز المحافظة على النوع و غرائز تحسين الأوضاع - كما أن التفاعل بين العناصر للاهوتية و العناصر العسكرية ينجم عنها التحول الى الطريقة الوضعية في التفكير ، وقد ساعد على هذا التطور ظهور مشكلات إنسانية أو الإخفاق المستمر للإنسان و الإحباطات الإنسانية أثناء تقدم النسق الحتمي خلال المراحل الثلاث للتطور الفكري .

و ثمّة عوامل أخرى ساهمت على التقدم ، منها الضيق و الضجر أو الملل السائد بين المواطنين ، إذ أفضى الضيق و الملل الى بذل الجهود نحو التجديد ، أيضا يساهم متوسط الأعمار السائد و معدل نمو السكان و معدل التطور الفكري في المجتمع ككل في إحداث التقدم ، فكل هذه العوامل تساهم في تطور الغرائز من الشكل البدائي الى مرحلة أرقى أثناء تتابع عملية التمدُّن و التحضّر .

٦. أخيراً افتراض كونت نوعا من اليوتوبيا (الخيال) السوسيولوجي ، عندما افترض في نهاية التطور الاجتماعي إمكانية سيطرة الوضعية على النظام الاجتماعي باعتبارها دين الإنسانية ، وهذا الافتراض يصور المجتمع في المرحلة الوضعية المتطرفة ، التي تحقق فيها الوحدة الحيوية بين العقل و النظام الاجتماعي ، و يأخذ كل جزء من أجزاء البناء الاجتماعي طابعا وضعيا في تلك المرحلة ، و عند هذه النقطة بدأ كونت في مناقشة المساهمة التي تقدمها أنظمة التعليم و التربية و الفن في تحقيق التطور نحو الحب و الخير استنادا على مبادئ الفلسفة الوضعية .

و موجز القول أن كونت رأى :

١. الكون نظاما تحكمه قوانين طبيعية .
٢. و ان هذه القوانين تظهر بصورة جلية في المجتمع في شكل العلاقات المتبادلة بين الغرائز الإنسانية و الفكر أو القيم الاجتماعية السائدة ، و ذلك في سياق بناء المجتمع الاستاتيكي و الديناميكي .
٣. يتطور النسق الاجتماعي (المجتمع) في مجموعة من خلال ثلاث أطوار من تطور الفكر نحو المرحلة الوضعية وهي المحلة المتكاملة أخلاقيا .
٤. مهمة علم الاجتماع بصفته علما وضعيا هي دراسة هذا النسق و وصفه وصفا تفصيليا يساهم في إيجاد الحل العلمي للمشكلات الاجتماعية .

المنهج :

و تبعا لرؤية كونت فإن المنهج الوضعي (العلمي) يقود الى ظهور الحقيقة العضوية أو الحقيقة الأساسية ، وهذا يعني ضرورة الاستفادة من إجراءات **الملاحظة و التجربة و المقارنة** لفهم تفاصيل الاستاتيكا الاجتماعية و الديناميكا الاجتماعية ، و يسمح هذا المنهج بتجريد القوانين الاجتماعية نتيجة التجريب المباشر و اللامباشر و تفاصيل التطور العام للمجتمع و وفق هذه الطريقة رأى كونت الوضعية منهجا يقود الى إيضاح أبين لنموذجه النظرية الذي يقوم على افتراضات ذات نزعة طبيعية و عضوية .

نمط المجتمع :

قسم كونت نموذجه لدراسة المجتمع الى جزئين أساسيين ، هما : الاستاتيكا الاجتماعية و الديناميكا الاجتماعية اللتان تصوران البناء التنظيمي للمجتمع و مبادئ التغير الاجتماعي لهذا المجتمع ، فالاستاتيكا تشمل الطبيعة الاجتماعية (الدين و الفن و الأسرة و الملكية و التنظيم الاجتماعي) و الطبيعة البشرية (الغرائز و العواطف و الفعل و الذكاء) ، بينما تشمل الديناميكا الاجتماعية قوانين التغير الاجتماعي و العوامل المرتبطة به (مستوى الضجر و الملل و طريقة الحياة و نمو السكان و مستوى التطور الاجتماعي و الفكري) ، و رأى كونت أن هذا البناء ككل يتقدم خلال مراحل ثلاث نحو المرحلة الوضعية .

القضايا الأساسية :

١. أثار مدخل كونت قضية مؤداها الى أي مدى تعد أهداف علم الاجتماع نظرية أو عملية تطبيقية أو أن أهداف علم الاجتماع تجمع بين التنظير و التطبيق خاصة خلال السياق الإمبيريقي المعاصر .
٢. أثارت افتراضات كونت الأساسية قضايا هامة عن التفسيرات الطبيعية (أي مدى ملائمة الغرائز) و النماذج الحتمية لتفسير التطور الاجتماعي و تصورات المجتمع في اطار نسق القيم السائدة أو رؤية الحقيقة و تقسيم المجتمع الى الاستاتيكا و الديناميكا ، وهما مفهومان مهّدا لظهور مفهومي البناء و العملية .
٣. يمثل منهجه الوضعي الأساس الأول و الرائد للمنهج العلمي المعاصر .
٤. يحدد نموذجه في تقسيم المجتمع الى استاتيكا و ديناميكا اجتماعية العمليات و العناصر الأساسية داخل النسق و بذلك يكون فكر كونت رائدا لأعمال لاحقة لمنظري البنائية الوظيفية و مدخل الصراع .

و يتبين من عرض أفكار كونت أنه قدم نموذجا طبيعيا للنظام الاجتماعي هو نسق اجتماعي يعمل بطريقة ديناميكية من أجل التقدم الى أطوار معينة محددة مسبقا ، و تقدم هذه النظرية الطبيعية التطورية الأساس الذي تقوم عليه النظرية الاجتماعية العلمية كما سنرى لاحقا ، و ينبغي أن ينظر إليها باعتبارها قاعدة أساسية للنموذج الاجتماعي العلمي للحقيقة الاجتماعية . كما أن آراء كونت ليست بسيطة بل تمثل القاعدة التي قام عليها كل من علم الاجتماع و النظرية الاجتماعية ، بحيث تضمن عناصر أساسية بقيت صالحة و ملائمة مع موضوعات العلم الاجتماعي المعاصر .

النمط الشمولي المتكامل في النظرية العضوية « دوركايم »

النمط الشمولي المعياري المتكامل في النظرية العضوية :

على نقيض النزعات العضوية المتطرفة في التفسير الطبيعي و الميكانيكي للمجتمع أكد دوركايم و تونيز على أهمية البعد المعياري أو البعد الاجتماعي في تفسير المجتمع كنسق اجتماعي ، و رغم أنهما لا يختلفان عن كونت و سبنسر فإن تفسيراتهما تبتعد عن التفسير الآلي الصارم للمجتمع ، و تقترب بقوة من التفسير الاجتماعي العلمي .

إميل دوركايم : ١٨٥٨-١٩١٧م

وُلد دوركايم في فرنسا ، وهو ابن عائلة يهودية ، تعلّم القانون و الفلسفة الوضعية ، و درَّسها في الجامعة ، تربّى في حضن أفكار عصر التنوير و عاش أيام الثورة السياسية في فرنسا و التفكك الاجتماعي . اهتم بفكرة الإرادة العامة (الضمير الجمعي) و التماسك الاجتماعي ، و ترتب على ذلك تصوره للمجتمع في اطار المعايير أو أشكال التكامل الاجتماعي (أي انه تصوّر المجتمع حسب الطريقة التي يرتبط بها الفرد ارتباطا اجتماعيا مع البناء الاجتماعي من خلال الحقائق الاجتماعية) و كانت فكرة التماسك الاجتماعي لعناصر المجتمع احدى اهتماماته الأساسية .

الأهداف :

اهتم دوركايم اهتماما أساسيا بفهم الظواهر الاجتماعية و تأثيرها على ظهور المشكلات الاجتماعية . و كان ذلك الاهتمام مناقضا و معارضا للتفسيرات الفردية و النفسية التي طرحت في ذلك الوقت ، وقد رأى دوركايم أن علم الاجتماع يهتم بالظواهر الاجتماعية و الالتزامات الأخلاقية الجمعية ، و خاصة تلك الظواهر التي تقهر الفرد و تلزمه على أن يسلك سلوكا معيناً داخل الجماعة ، وهكذا فعلى النقيض من التفسيرات النفسية التي تهتم بالحالات الداخلية و التي سيطرت على المناخ الفكري في تلك الفترة ، قدّم دوركايم اطار عملٍ سوسيولوجيٍ يهتم بالظواهر الموجودة في الخارج مثلما عرض منهجا لدراسة هذه المعطيات الاجتماعية .

و كان هذا المنهج الاجتماعي وهذا التفسير للظواهر الاجتماعية هو المساهمة الكبرى من دوركايم في تأسيس و تطوير علم الاجتماع باعتباره علما جديدا متميزا يركز على المجتمع كظاهرة حقيقية لها وجود مستقل ، وقد أعطى دوركايم اهتماما لكل مظاهر المجتمع ، وهي :

(القانون و الأخلاق و أساليب الضبط و البناء السياسي و الاقتصادي و الدين و الجريمة) .

الافتراضات :

١. بدأ دوركايم بافتراض هام مؤدّاه (أن المجتمع بوصفه ضميراً جمعيا – شعورا جمعيا ، تمثلات جمعية – له وجود مستقل ، وقد قصد دوركايم - كما فعل سبنسر – توضيح أن المجتمع ككل يختلف عن مجموع أجزائه ، فالمجتمع كلٌ عضوي جمعي يختلف عن مجموع الأجزاء و يعمل أساسا من خلال ممارسة أساليب القهر التي يفرضها على البناء المعياري للمجتمع .

٢. و يترتب على ذلك أن الوقائع الاجتماعية (الظواهر الاجتماعية) هي وقائع حقيقية ، كما يتجلى ذلك في قوة القهر التي تمارسها المعايير و الأبنية التنظيمية ، و تبعا لذلك اهتم دوركايم اهتماما أساسيا بواقعية المعايير وما تمارسه من قوة قهر و الزام .

٣. تعتمد القوة الاجتماعية على العقل الجمعي (الضمير الجمعي) أي تعتمد على الاشكال المختلفة للسيطرة و القهر و الإلزام على بناء المعايير السائد خلال جماعة ما ، عندما يمارس الضبط الاجتماعي على أعضاء الجماعة من خلال هذه المعايير ، و على العموم فإن كل مظاهر البناء الاجتماعي ، بما في ذلك نظمه تقوم على نسق معايير المجتمع .

٤. بيّن دوركايم أن تطور وقائع المجتمع أو الظواهر السائدة فيه يعتمد على الحاجات الأساسية لذلك المجتمع ، و بهذه الكيفية تمثل الظواهر الاجتماعية الحاجات الاجتماعية موضوع يجب أن يدرسه علماء الاجتماع بعمق ، وقد سبق دوركايم في هذا المدخل البنائي الوظيفي المعاصر في توضيح هذه الارتباط .

٥. وقد طرح دوركايم فرضا أساسيا ثانيا مؤداه (أن التماسك الاجتماعي يعتمد على تقسيم العمل في المجتمع) أي كلما تزايد التماثل في مظاهر تقسيم العمل كلما كان بناء الأدوار اقل تعقيدا ، ارتفع مستوى التماسك الاجتماعي .

٦. استنادا الى هذا الفرض بين دوركايم أن ثمة رابطة منطقية بين بين حجم المجتمع و الكثافة الاجتماعية من جانب و مستوى تقسيم العمل و التماسك الاجتماعي من جانب آخر .

(أي كلما زاد عدد السكان و ارتفعت الكثافة الاجتماعية ، ترتب على ذلك زيادة في تقسيم العمل و ضعف التماسك الاجتماعي) .

٧. و علاوة على ذلك أدرك دوركايم أن هناك شكلين أساسيين كبيرين للتماسك الاجتماعي (التضامن الاجتماعي) الأول : التماسك الآلي و الثاني التماسك العضوي .

و التماسك الآلي : خاصية من خصائص المجتمعات التقليدية التي يتضاءل فيها تقسيم العمل ، و تمارِس فيها المعايير الاجتماعية قوة ضاغطة على الأفراد كما يظهر فيها مستوى عالٍ من التماسك الاجتماعي ، بسبب التماثل في المعايير و التقاليد و المعتقدات و تقارب الآراء و الطموحات .

أما التماسك العضوي : فخاصية المجتمعات الحضرية و الصناعية الأكثر تقدما و التي تتميز بتعقد نظام تقسيم العمل و شيوع علاقات تقوم على التعاقد و انخفاض مستويات التكامل و ندرة مظاهر التماسك و التضامن . وفي مثل هذا البناء (المجتمع) تضعف قوة أساليب الضبط التي تمارّس قهرها و ضغطها على الأفراد ، مما يؤدي الى ارتفاع معدلات الانحراف و الجريمة نتيجة ضعف الروابط بين الأفراد و البناء الاجتماعي (المجتمع) و يصبح البناء الاجتماعي غير قادر على تنظيم العلاقات تنظيما ملائماً .

٨. و أخيرا افترض أن الجريمة و أشكال الانحراف الأخرى تؤدي وظيفة في المجتمع بقدر ماهي تدعم معايير الجماعة و بقدر ما تساهم في التغيير المستمر بتعديل معايير الجماعة .

و مجمل القول يرى دوركايم أن المجتمع وحدة عضوية معيارية تمثل الحاجات الأساسية للمجتمع ، و اذا كبر هذا النسق و زاد عدد السكان و ازدادت الكثافة الاجتماعية و تعقد تقسيم العمل يتحرك (يتحول) المجتمع من التماسك الآلي الى التماسك العضوي و المشكلة في العملية الناجمة عن ذلك هي إعادة تكامل الأفراد و بيئتهم الاجتماعية ، أي تطوير الوحدة الأخلاقية بعد حالات التفكك الاجتماعي .

و يقترح دوركايم أن إعادة هذا التكامل تتطلب : الاستفادة من التعليم و التربية و الدعوة الى تربية أخلاقية جديدة تتجاوز اهتمامات الفرد وتتيح رابطة أخلاقية متجانسة مع المجتمع ، وكما فعل كونت وسبنسر اهتم دوركايم بالمظاهر العملية للتجانس الاجتماعي .

المنهج :

يعد كتاب " قواعد المنهج في علم الاجتماع " أشهر مؤلفات دوركايم على الإطلاق ، و يوضح فيه أن الحقائق الاجتماعية أشياء تقتضي دراسة موضوعية - أي يمكن قياس الحقائق الاجتماعية أو الظواهر الاجتماعية .

و اهتم دوركايم في كتابه السابق بدراسة المؤشرات التي تبرز العقل الجمعي ، و يحاول علم الاجتماع أن يحدد الحاجات الاجتماعية الأساسية التي تمثلها هذه المؤشرات . كما ينبغي أن يستفيد علم الاجتماع من طريقة التغير المتلازم التي قال بها (جون سيتورات ميل) بمعنى : ارتباط التفسير الذي يحدث في ظاهرة ما بتغير آخر يطرأ على ظاهرة أخرى أو أكثر .

و كما أكد دوركايم أهمية دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة موضوعية ، أوضح أهمية التجريب و المنهج المقارن ، كما أعطى اهتماما خاصا لتغير الحقائق الاجتماعية خلال الزمان و يساعدنا هذا المنهج على تجريد (استخلاص) قوانين علمية تهتم بكيفية أداء الظواهر الاجتماعية لوظائفها و نشأتها و تطورها .

نمط المجتمع :

نمط المجتمع عند دوركايم يقوم على صورة التماسك الاجتماعي السائد في مجتمع ما ، و ثمة مجتمع يسوده **التماسك الآلي** و انخفاض في معدل تقسيم العمل و ينتشر فيه نمط ثقافة تقليدية متجانسة و معايير تمارس قوة القهر و الملكية المشاعة و الديانات الوثنية و الانتحار الغيري (الإيثاري) أي الموت من أجل الجماعة .

أما التماسك العضوي فيسود في مجتمع يتميز بتعقد نظام تقسيم العمل المصاحب لعصر التصنيع و تزايد الفردية و معايير الثواب و العقاب و العلاقات التي تقوم على التعاقد و الملكية الفردية و نمو الاتجاهات العلمانية و ازدياد الانتحار الأناني أو الانتحار بسبب عدم احترام المعايير في الجماعة أو المجتمع .

و الشكل الأول وهو الانتحار الأناني : مرتبط بمصالح الذات ولا تبرره المعايير السائدة و محصلة الصراع بين رغبات الفرد وسلطة المجتمع و يحسم الصراع بتدمير الذات .

أما الشكل الآخر من الانتحار فهو **الانتحار الأنومي (المعياري)** فينشأ نتيجة شيوع مظاهر التفكك الاجتماعي و خاصة أوقات الأزمات الاقتصادية عندما تتسع الهوة بين التطلعات و الواقع اتساعا كبيرا و اتساقا مع التطور من المجتمع العسكري الى المجتمع الصناعي عند سبنسر يصف نمط المجتمع العضوي عند دوركايم البناء الاجتماعي في أطوار معينة من تطوره .

القضايا الأساسية :

على خلاف أوجست كونت و سبنسر فإن مفهوم دوركايم للمجتمع يعطي قيمة أكبر لمعايير المجتمع التي يطلق عليها الشعور الجمعي (الضمير الجمعي). و لكنه يتفق معهما في الإيمان بالصيغة العضوية و التطورية . فالمجتمع يمثل صورة من الإرادة الجمعية التي تتطور طبقا لتطور حاجات المجتمع الأساسية فتحدد و تقيد سلوك الأفراد داخل المجتمع ، و كلما تغيرت هذه الحاجات من جراء تكاثر السكان يزداد تعقد تقسيم العمل ، و تظهر المعايير المرتبطة به ، فيتحرك المجتمع من التضامن الآلي التضامن العضوي .

وهذا المدخل المعياري و العضوي و التطوري يمثل جوهر علم الاجتماع وهو المساهمة الهامة و الكبرى و الباقية لدوركايم في علم الاجتماع .

و يمكن تلخيص بعض القضايا الأساسية عند دوركايم على النحو التالي :

١. الى أي مدى يمتلك الضمير الجمعي وجودا مستقلا في الواقع ؟ أي هل دوركايم وحّد بين الضمير الجمعي و المجتمع ، ومن ثم فرض وجودا مستقلا للوجود الجمعي ؟.

٢. مدى ارتباط العلاقة بين حجم السكان و تقسيم العمل وبساطة التكامل الاجتماعي و الربط بين هذه العوامل يتضمن خطر التبسيط المفرط .

٣. يبدو أن مشاكل قياس الوقائع الاجتماعية على مستوى الفرد و المجتمع كثيرة .

٤. الى أي مدى تمثل الوقائع الاجتماعية حاجات الصفوة بدلا من حاجات المجتمع العامة ؟ لقد درس دوركايم عدم المساواة لكنه آمن بالتفسير البنائي للمجتمع .

و رغم تلك المشكلات ، فلا زالت أعمال دوركايم واحدة من أهم المساهمات التي قدمت لعلم الاجتماع و الفكر الاجتماعي العلمي و خاصة تصوره المعياري للمجتمع .

النظرية البنائية الوظيفية (تالكوت بارسونز)

النظرية البنائية الوظيفية :

يمكن القول بأن ما أصبح يعرف بالاتجاه البنائي الوظيفي في النظرية الاجتماعية يمثل اكثر الاتجاهات رواجا في علم الاجتماع في خلال الخمسين عاما الأخيرة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية و أروبا .

و خلال هذه السنوات الخمسين ظهرت مؤلفات عديدة حول هذا الاتجاه النظري في علم الاجتماع سواء منها ما تناولته بالشرح أو التعديل أو الحذف و الإضافة و النقد ، وقد اعتبر هذا الاتجاه من المعالم الرئيسية لعلم الاجتماع الاكاديمي المعاصر .

و يميل كثير من علماء الاجتماع الذين يروجون لهذا الاتجاه الى اعتبار علم الأنثروبولوجيا هو المصدر الأساسي لذلك الاتجاه و يشيرون بصفة خاصة الى كتابات كل من راد كليف براون و مالينوفسكي .

إلا ان هناك علماء اجتماع آخرين يرون أن هذا الميل من جانب علماء الاجتماع الوظيفيين الى الربط بين نشأة الاتجاه الوظيفي في علم الاجتماع و بين الاتجاه الوظيفي في الأنثروبولوجيا الثقافية إنما هو تشويه للحقيقة و محاولة لإخفاء الطابع الأيديولوجي المحافظ لذلك الاتجاه ، فالواقع أن الاتجاه الوظيفي كما سيتبين لنا أنه يعتمد على المسلمات الأساسية للاتجاه العضوي الذي كان سائدا في النظريات الاجتماعية الأولى في علم الاجتماع و الذي تخلى عنه علماء الاجتماع بعد ما أصبح هذا الاتجاه كما يقول (مارتن ديل) سيء السمعة و موصوما بوصمة الرجعية .

و المسلّمة الأساسية التي تعتمد عليها البنائية الوظيفية و التي تدور حول فكرة تكامل الأجزاء في كلٍ واحد و الاعتماد المتبادل بين العناصر المختلفة للمجتمع هي التي كانت تدور حولها فكرة الاتفاق العام عند أوجست كونت و فكرة التكامل الذي يصحب التمايز عند سبنسر و نظرة باريتو للمجتمع على أنه في حالة توازن ، كما أن نفس هذه المسلمة كانت موجوده في أعمال دوركايم .

و البنائية الوظيفية ليست في واقع الأمر سوى صياغة جديدة لأفكار و مسلمات قديمة تعود الى القرن (١٩م) و ترتبط بظهور ذلك الاتجاه القوي ذي الصبغة العلمية للدفاع عن النظام الرأسمالي و تبريره .

و على ذلك فإن المؤسسين الحقيقيين للوظيفية هم علماء الاجتماع الأوائل من الوضعيين العضويين و تعتمد الوظيفية بصفة أساسية على فكرة النسق العضوي Organic system التي اعتمدت عليها النظريات العضوية . وهي الفكرة التي مؤداها (أن كل شيء يمكن أن ينظر إلية باعتباره نسقا أو كلا متكاملا يتكون من أجزاء مثل الكائن الحي) .

و يجدر بنا قبل أن نستطرد في شرح العلاقة بين الوظيفية و بين الوضعية و الأنثروبولوجيا الثقافية أن نحدد أولا الخصائص الأساسية للاتجاه الوظيفي في النظرية الاجتماعية .

على الرغم من أن هناك عديدا من علماء الاجتماع الذين ينتمون الى الاتجاه الوظيفية مثل روبرت ميرتون و تالكوت بارسونز ... و غيرهم .

مسلمات النظرية الوظيفية :

و بالرغم من الاختلافات بين هؤلاء العلماء **إلا انه يمكن القول بصفة عامة أن الاتجاه الوظيفي يعتمد ست أفكار أو مسلمات رئيسية محورية هي :**

١. يمكن النظر الى أي شيء سواء كان كائنا حيا أو اجتماعيا ، فردا كان أو جماعة صغيرة أو تنظيما رسميا أو مجتمعا أو حتى العالم بأسره على أنه نسق أو نظام (System) وهذا النسق يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة ، فجسم الإنسان يتكون من مختلف الأعضاء و الأجهزة و الجهاز الدوري فيه عبارة عن نسق يتكون من مجموعة من الأجزاء و شخصية الفرد نسق يتكون من أجزاء مختلفة مثل السلوك و الحالة الانفعالية و العقلية... الخ و كذلك المجتمع و العالم .

٢. لكل نسق احتياجاته الأساسية لابد من الوفاء بها و الا فإن النسق سوف يفنى أو يتغير تغيرا جوهريا ، فالجسم الإنساني مثلا يحتاج الى الأكسجين و الماء ، و كل مجتمع يحتاج لأساليب لتنظيم السلوك (القانون) و مجموعة لرعاية الأطفال (الأسرة) وهكذا.

٣. لابد أن يكون النسق دائما في حالة توازن Equilibrium و لكي يتحقق ذلك فلابد أن تلبي أجزاؤه المختلفة احتياجاته . فإذا اختلت وظيفة الجهاز الدوري فإن الجسم سوف يعتل و صبح في حالة من اللاتوازن Disequilibrium .

٤. و كل جزء من أجزاء النسق قد يكون وظيفيا Functional أي يسهم في تحقيق توازن النسق . وقد يكون ضارا وظيفيا Dis-Functional أي يقلل من توازن النسق وقد يكون غير وظيفي Non-Functional أي عديم الفائدة و القيمة بالنسبة للنسق .

٥. يمكن تحقيق كل حاجة من حاجات النسق بواسطة عدة متغيرات أو بدائل ، فحاجة المجتمع لرعاية الأطفال مثلا يمكن أن تقوم بها الأسرة أو دار الحضانة و حاجة المجموعة للتماسك قد تتحقق عن طريق التمسك بالتقاليد أو عن طريق الشعور بالتهديد من عدو خارجي .

الهدف الرئيسي في النظرية الوظيفية :

وحدة التحليل يجب أن تكون الأنشطة أو النماذج السلوكية المتكررة ، فالتحليل الاجتماعي الوظيفي لا يحاول أن يشرح كيف ترعى أسرة معينة أطفالها و لكنه يهتم بكيفية تحقيق الأسرة بوصفها نسقا اجتماعيا (نظاما) هذا الهدف .

إن هدف الوظيفية أو التفسير الوظيفي : هو الكشف عن كيفية إسهام أجزاء النسق في تحقيق النسق ككل لاستمراريته أو الإضرار بهذه الاستمرارية ، فعلم الاجتماع الوظيفي قد يحاول الكشف عن دور وسائل الاتصال الجمعي في المجتمعات المركبة في تحقيق المجتمع لتوازنه ، وقد يحاول أن يكشف عن الجوانب السلبية للحرب أو الجريمة بالنسبة للمجتمع .

و لكي نوضح أكثر المقصود الوظيفي نأخذ كمثال تحليل (كنجزلي ديفز ، و ولبرت مور) للتدرج الاجتماعي أو (التفاوت الطبقي) حيث يقول المؤلفان : ((أن التدرج الاجتماعي الذي هو عبارة عن ترتيب للمجموعات أو الأفراد في درجات أو رتب ذات مكانات مختلفة مثل : الطبقات الاجتماعية أو الفئات المهنية هو شيء وظيفي بالنسبة للمجتمع ، أي أنه لا بد أن يكون قائما باستمرار لأن هذا التدرج هو أساس شغل المراكز الهامة في المجتمع بأكثر الأشخاص كفاءةً ، و يعني كل من (ديفز و مور) بذلك أنه اذا كانت هناك مساواة بين الناس في أوضاعهم الاجتماعية وفيما يحصلون عليه من مزايا ، فإن المجتمع لن يستطيع المحافظة على حالته السوية ، فالمراكز السياسية و الاقتصادية الهامة ستظل خالية أو ستُشغل بأشخاص غير أكفاء مما سيؤدي الى اختلال المجتمع ، و يفترض (ديفز و مور) أن عدد الأفراد الأكفاء و المؤهلين لشغل هذه المراكز محدود ، و أمثال هؤلاء لابد أن يضحوا في البداية خلال عملية تدريبهم و بالتالي فإنهم لابد أن يحصوا على امتيازات كافية تشجعهم على تحمل فترة التدريب هذه .

و على ذلك فان نظام التدرج يسهم في أداء المجتمع لوظائفه ، أي يكون وظيفيا بالنسبة للمجتمع بوصفه نسقاً .
و يرى عالم اجتماع أخر أن الأسرة تقوم بإشباع حاجات كل من الفرد و المجتمع ، أي أنها وظيفية بالنسبة للاثنين . فوظائف الأسرة بالنسبة للمجتمع هي :

١. المحافظة على النوع .
٢. تنظيم السلوك الجنسي .
٣. تزويد الأطفال باحتياجاتهم الجسمية و الاقتصادية و النفسية.
٤. المحافظة على التراث الثقافي و نقله من جيل الى جيل .

أما بالنسبة لوظيفتها للفرد فإنها تؤدي لها التالي :

١. البقاء الطبيعي . ٢. الإشباع الجنسي .
٣. الرعاية و الحماية . ٤. التنشئة الاجتماعية .
٥. اكتسابه صفاته الاجتماعية .

معنى كلمة (وظيفة) في علم الاجتماع :

و يستند التحليل الوظيفي – كما يؤكد كثير من العلماء – على التصور العضوي للمجتمع ، أي النظر للمجتمع بوصفه يشبه الكائن الحي ، و بذلك تستمد الوظيفية مسلماتها الأساسية من الاتجاه العضوي الذي أسسه (كونت و دوركايم و غيرهما) و الذي اعتمد عليه علماء الأنثروبولوجيا في تحليلاتهم الوظيفية للمجتمعات البدائية ، ثم ما لبث تأثيرهم أن انتقل مرة أخرى الى علم الاجتماع .

ماذا تعني كلمة (وظيفة) في النظرية الوظيفية :

استخدمت كلمة وظيفة بعدة معانٍ في علم الاجتماع ، من أهمها :

١. الإسهام الذي يقدمه الجزء للكل - الذي قد يكون المجتمع أو الثقافة - وهذا هو المعنى الذي استخدمها به كل من دروكايم و براون و مالينوفسكي .

٢. الإسهام الذي تقدمه الجماعة الى أعضائها أو الإسهام الذي يقدمه المجتمع الكبير للجماعات الصغيرة التي يضمها .

٣. تستخدم – الوظيفة – للإشارة الى دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها عمليات أو أثارا لأبنية اجتماعية مثل انساق القرابة أو الطبقة .. الخ .

ومن أهم الأفكار في النظرية الوظيفية هي أن العمليات أو الأجزاء ذات أهمية ثانوية بالمقارنة بالنسق عند تحليل المجتمع .

و يختلف علماء الاجتماع الذين يتبنون الاتجاه الوظيفي في نوعية الأنساق التي يهتمون بملاحظتها ،

١- فمنهم من يركز على تحليل انساق صغيرة (كالمجموعات) و يمثل هذا الاتجاه مجموعة من العلماء ، و يعرفونها بوظيفية الوحدات الصغرى Micro-Functionalism .

٢- و منهم من يركز على تحليل أنساق كبيرة (كالمجتمع) و يمثل هذا الاتجاه : ميرتون و بارسونز ، ولكن جميع الوظيفيين يشتركون في أن الخصائص التي يحللونها دائما هي خصائص معنوية أو فكرية ، أي أنهم مثاليون .

و فيما يلي سنعرض باختصار و تركيز لاثنين من ممثلي الاتجاه الوظيفي البنائي هما عالما الاجتماع الأمريكيين الشهيرين : تالكوت بارسونز و روبرت ميرتون .

بارسونز :

فقد تأثر بارسونز فكريا بعالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم ، و عالم النفس النمساوي فرويد و الإيطالي باريتو صاحب نظرية الصفوة و عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر و كذلك بعلماء الاقتصاد التقليديين .

وقد بدأ بارسونز كتاباته النظرية مسترشدا بماكس فيبر ، و يمكن تصنيف مؤلفاته الأولى تحت **نظريات الفعل الاجتماعي** السابق الحديث عنها .

و يرتكز الاطار النظري لبارسونز على أربعة مفاهيم أساسية :

* الفعل الاجتماعي Social Action * الموقف Situation
* الفاعل Actor * توجيهات الفاعلين Actor's Orientation

و يرى بارسونز أن كل فعل عبارة عن سلوك ، ولكن كل سلوك لي فعلا ، مثال :

فاتجاه الفراشة نحو الضوء و الذي يعتبر استجابة آلية من جانب ذلك الكائن لمنبه الضوء سلوكا وليس فعلا ، وذلك لانتفاء العنصر الذاتي في هذا السلوك ، أما إن كان سلوك الفراشة صدر بتفكير و اختيار فهذا فعلٌ و ليس سلوكا .

وعلى ذلك فالذي يفرّق بين الفعل و السلوك ، هو ان الفعل يتصف بعنصر اتخاذ القرار الذي يقع بين المنبه و الاستجابة ، أما الموقف فإنه قد يكون المسرح أو أي ظرف يكون فيه الفاعل مضطرا لاتخاذ قرار يختار بموجبه بين أدوار بديلة يقوم بها و الموقف يتضمن مجموعة متنوعة من المنبهات الممكنة ، و بصفة خاصة الموضوعات سواء كانت إنسانية أو غير إنسانية و كذلك مجموعة من المعايير التي هي عبارة عن : تصورات لما هو مرغوب فيه و مهمة الباحث أن يحدد كيف و لماذا يستجيب الفاعل لمنبهات معينة دون غيرها .

و حين يوجد الفاعل في موقف ما و يكون عليه أن يقوم فيه بفعل معين فإن هناك ما يحدد اختياره لنوعية ذلك الفعل وهذه المحددات هي ما اسماها بارسونز بالتوجيهات Orientations .

فحين نتعامل مع الآخرين فإنه توجهنا عدة أشياء ، فلا بد ان نقرر ما اذا كان تعاملنا معهم سيكون على أساس علاقة انفعالية أو سيكون محايدا انفعاليا ، و بناء على ذلك نقرر ما اذا كنا سنتعامل معهم على أساس انهم شخصيات متكامل هاو على أساس جزئي ثانوي فحين يختار رجل ما زوجة له ، فانه يتعامل معها انفعاليا و على أساس أنها شخصية متكاملة ، و حين يختار طبيبا ليعالجه فانه يتعامل معه على أساس غير انفعالي و بالتالي ينظر آلية من جانب واحد فقط هو كفاءته في وظيفته (وقد اسمى بارسونز ذلك بالتوجيهات الإدراكية الدافعة).

كذلك يجب ان نختار بين ان نتصرف في موقف ما على أساس المصلحة الذاتية أو على أساس مصلحة المجموعة (و اسمى ذلك بالتوجيهات التقويمية الدافعية).

وقد ميّز بارسونز بين ما اسماه بالتوجيهات الدافعية و التوجيهات القيمية ، حيث تشير التوجيهات الدافعية الى تلك الجوانب من توجيهات الفاعل نحو موقفه و التي ترتبط بالإشباع أو الحرمان الفعليين أو الممكنين لاحتياجات الفاعل .

و توجد ثلاثة أنواع من التوجيهات الدافعية :

١. التوجيهات المعرفية : و تتضمن تحديد مكان الموضوع الذي نتعامل معه في عالم موضوعات الفاعل و تحديد خصائصه و وظائفه الفعلية الممكنة و تمايزه عن غيره من الموضوعات .

٢. التوجيهات الانفعالية : و تتضمن مختلف العمليات التي يوزع بواسطتها الفاعل طاقته على مختلف الأعمال فيما يتعلق بمختلف الموضوعات ذات الدلالة الانفعالية في محاولته زيادة الإشباع .

٣. أما التوجيهات القيمية : فتشير الى المعايير الثقافية أو الى تلك الجوانب من توجيهات الفاعل التي تجبره على ان يأخذ في اعتباره إمكانية تطبيق معايير معينة و محكات اختيار حين يكون في موقف يسمح له بأن يختار السلوك الذي يقوم به .

و تنقسم هذه التوجيهات القيمية بدورها الى ثلاثة أنواع :

أ- التوجيهات المعرفية : و تتضمن الالتزام بمعايير معينة ثبت صدقها معرفيا .

ب- التوجيهات التقديرية : و تتضمن الالتزام بمعايير معينة ثبت بواسطتها ملائمة أفعال معينة لموضوع ما انفعاليا .

ج- التوجيهات الأخلاقية : و تتضمن الالتزام بمعايير معينة تحددت صلاحيتها على أساس نتائج الأفعال بالنسبة للنسق الكلي (أي المجتمع).

النظرية الوظيفية لدى بارسونز :

وهذه العناصر المختلفة التي بدأ بارسونز يدرسها (أي الفاعل والفعل و الموقف و التوجيهات) ارتكز عليها فيما بعد عند محاولته تكوين نظرية بنائية وظيفية عن المجتمع ، وهي التي يرى ان أي نسق يتكون منها فهي تدخل في تكوين ثلاثة أنواع من الأنساق :

١- النسق الاجتماعي ٢- نسق الشخصية ٣- النسق الثقافي .

و يعرّف بارسونز النسق الاجتماعي عدة تعريفات أوضحها ذلك الذي يقول : (و النسق الاجتماعي عبارة عن فاعِلَين أو اكثر يحتل كل منهم مركزا أو مكانة متمايزة عن الأخرى و يؤدي دورا متمايزا ، فهو عبارة عن نمط منظم بحكم علاقات الأعضاء و يصف حقوقهم و واجباتهم تجاه بعضهم البعض ، و اطار من المعايير أو القيم المشتركة بالإضافة الى أنماط مختلفة من الرموز و الموضوعات الثقافية المختلفة).

و يعرّف بارسونز الدور بانه : سلوك الفاعل في علاقته مع آخرين اذا ما نظرنا الى هذا السلوك في سياق أهميته الوظيفية للنسق الاجتماعي ، **أما المكانة** فتشير الى موقع الفاعل في نسق علاقة اجتماعية معينة .

و عندما يتكون نمط ثابت نسبيا من الأدوار يسمى ذلك بناء Structure أما النمط الثابت من علاقات الأدوار فيسمى نظاما Institution .

أما النسق الثقافي فيرى بارسونز انه نتاج لأنساق التفاعل الاجتماعي من ناحية ومحددا لهذا التفاعل من ناحية أخرى ، وقد ميّز بارسونز بين ثلاثة أنماط من الانساق الثقافية :

١. انساق الأفكار أو المعتقدات .
٢. انساق الرموز التعبيرية مثل الفن .
٣. انساق التوجيهات القيمية .

و يرى بارسونز أن الانساق الاجتماعية تتصف بخاصيتين أساسيتين هما :

أولا : ميل مكونات النسق الى الحفاظ على درجة عالية من التكامل على الرغم من الضغوط البيئية .

ثانيا : ميل الى التوازن أي استمرارية مكونات النسق في أداء وظائفها .

كما يرى بارسونز في نظريته عن (النسق الاجتماعي) :

أولاً : أن المجتمع يملك واقعا و حقيقة اجتماعية مستقلة كنسق اجتماعي عن وجود الأفراد .

ثانياً : يُبرِزُ البناء الاجتماعي أو الأنساق الفرعية التي يتكون منها البناء (المنظمات Organization) **عددا من الوظائف الأساسية الهامة ، و تتكون هذه الوظائف من :**

١. **التكامل** : Integration : بمعنى أن النسق يعتمد على مجموعة من المعايير التي تربط الفرد بالمجتمع ، فينتج التكامل المعياري في نسق المجتمع العام ككل .

٢. **نمط المحافظة :** Pattern maintenance : و يعني أن النسق بما يتضمنه من معايير و قيم لها عموميتها ، يؤدي الى المحافظة على نمط التفاعل فلا يخرج أو ينحرف عن حدود النسق .

٣. **التكيف :** Adaptation : و يعني أن كل نسق اجتماعي عليه أن يتكيف مع البيئة الاجتماعية و المادية التي يوجد بها ، فالفرد من خلال دوره يتكيف مع نسق المجتمع العام و المجتمع العام يجب أن يتكيف مع نسق المجتمع الدولي .

٤. **تحقيق الهدف :** Goal attainment : و يقصد به أساليب الأفراد الفاعلين من أجل تحقيق الهدف .

بمعنى أن الأفراد أثناء إشباعهم لحاجاتهم يختلفون من حيث مكونات شخصية كل منهم ، حيث يختار كل منهم بديلا من البدائل المتاحة في النسق الثقافي .

ما سبق يعني : أن أي نسق لابد أن يتكيف مع البيئة الطبيعية و يهيئ الوسائل الاقتصادية الضرورية لحياة أعضائه ، و لكي يحقق النسق أهدافه لابد له من صورة ما من التنظيم السياسي (أي تركيز القوة) ولابد من حماية النسق لنفسه من التحلل و التفكك وذلك عن طريق وضع مجموعة من القوانين و التنظيمات و إقامة جهاز شرطي يعمل على تنفيذها (التكامل) كما لابد له من تدريب الأعضاء الجدد عن طريق الضبط الاجتماعي على المشاركة في نشاطات المجموعة تبعا للأساليب المحددة .

و يشير بارسونز الى المجتمع الإنساني ككل بوصفه نسقا يتكون من مجموعة من الأنساق (المجتمعات) التي يشكل كل منها نسقا مستقلا نسبيا و لكنها جميعا تشكل سويا نسق المجتمع الإنساني .

النظرية البنائية الوظيفية (روبرت ميرتون)

على الرغم من الاختلافات بين تالكوت بارسونز و روبرت ميرتون في تفاصيل النظرية التي حاول كل منهما ، و بالرغم من الانتقادات التي وجهها كل منهما للآخر ومن التعديلات التي اقترح ميرتون إدخالها على الوظيفية ، إلا أن كليهما يبدا من نفس المسلمات النظرية الأيديولوجية التي بدأ بها كل أصحاب الاتجاه الوظيفي و أصحاب الاتجاه العضوي من قبلهم ، و أهم هذه المسلمات : أن البناء الاجتماعي في حالة ثبات و توازن وأن هناك تكاملا بين عناصر هذا البناء ، و أن هناك إجماعا عاما بين أعضاء المجتمع على قيم معينة و ان هناك توازناً يجب ألا يصيبه الخلل في البناء الاجتماعي .

لقد بدأ ميرتون – الذي كان تلميذا لتالكوت بارسونز – بنقد بارسونز على أساس ان أعماله تمثل جهدا غير ناضج لمحاولة تكوين نظرية اجتماعية عامة ، ولكنه لم يمس في كتاباته المسلمات الرئيسية التي ارتكزت عليها أعمال بارسونز أو غيره من الوظيفيين ، وذلك بسبب أنه هو ذاته يسلم بها تماما و بدلا من ذلك ركز جهده على نقد تفاصيل هذه الأعمال أو الفروض الجزئية التي تحتوي عليها .

و رأى ميرتون أن النظرية في علم الاجتماع يجب أن تكون (متوسطة المدى : Middle range) و عرّف النظرية متوسطة المدى بانها تلك " التي تقع بين طرفين : الطرف الأول يتمثل في مجموعة الافتراضات العلمية البسيطة التي نقابلها عند إجراء البحوث الميدانية، و الطرف الثاني يتمثل في النظريات الشاملة الموحدة التي تسعى لتفسير كل ملاحظة عن انتظام في السلوك الاجتماعي و التنظيم الاجتماعي .

و بعبارة أخرى يقترح ميرتون مستوى من النظرية الاجتماعية الامبيريقية و التي تتضمن قدرا كبيرا من التجريد . و لكنه أقل من مستوى النظرية الكبرى . Grand Theories و التي تتضمن قدرا كبيرا من التجريد و برر ميرتون دعوته لهذا المستوى المتوسط من التجريد بأنه يسمح بإخضاع ما يتضمنه من قضايا للاختبار الامبيريقي نظرا لقرب هذه القضايا من الوقائع الملموسة .

أمثلة للنظرية متوسطة المدى :

وعلى ذلك فان النظرية متوسطة المدى تتناول أساسا جوانب معينة من الظواهر الاجتماعية ، و ليست الظواهر في عموميتها ، فيمكن مثلا أن تكون لدينا **نظرية عن الجماعات المرجعية و نظرية عن الحراك الاجتماعي و نظرية عن صراع الأدوار ونظرية عن تكون القيم ... الخ .**

و بعد أ تصبح لدينا هذه النظريات المتعددة ذات المدى المتوسط يمكننا في المستقبل أن نصوغ منها نظرية عامة موحدة ، لكن الوقت لم يحن بعد لتكوين مثل هذه النظرية الموحدة .

وقد حدد ميرتون مجموعة من الوحدات التي يجب أن تمثل بؤرة لاهتمام التحليل في النظرية الاجتماعية متوسطة المدى مثل : الأدوار الاجتماعية ، العمليات الاجتماعية ، الأنماط الثقافية ، الانفعالات المحددة ثقافيا ، المعايير الاجتماعية ، تنظيم الجماعة ، البناء الاجتماعي و أساليب الضبط الاجتماعي ... الخ .

و بذلك جعل بؤرة اهتمام النظرية الاجتماعية ما اسماه :

بالعناصر الثقافية المقننة (Standardized Cultural items).

وقد استمد ميرتون مسلماته الأساسية عن الوظيفية من علماء الأنثروبولوجيا و بخاصة رادكليف براون و مالينوفسكي ، و صاغ نظريته الوظيفية من أهم مؤلفاته (النظرية الاجتماعية و البناء الاجتماعي) الذي نشر عام ١٩٤٩م .

وقد استخدم ميرتون كلمة وظيفة بمعنى « الإجراءات البيولوجية الاجتماعية التي تساعد على الإبقاء على النسق و على تكيفه أو توافقه وهذه الإجراءات قابلة للملاحظة .

فمثلا : اذا نظرنا الى الجسم بوصفه نسقا بيولوجيا فان ضخ الدم يكون إجراء بيولوجيا يقوم به القلب للمحافظة على بقاء الجسم ، وبذلك تكون وظيفة القلب ، و اذا نظرنا للمجتمع على أنه نسقا اجتماعيا فان المحافظة على النظام تكون إجراء اجتماعيا تساعد على بقاء المجتمع و يكون وظيفة الحكومة هكذا .

و الوظيفة بهذا المعنى لها مؤشرات موضوعية قابلة للملاحظة ، ولا يجب الخلط بينها و بين الأهداف و الأغراض أو الدوافع ، فهذا الزواج أو الدافع اليه مثلا يختلف عن وظيفة الزواج و الأسباب التي يقدمها الناس تفسيرا لسلوكهم تختلف عن نتائج هذا السلوك بالنسبة للنسق الاجتماعي – تلك النتائج التي يمكن ملاحظتها .

وقد انتقد ميرتون غيره من أصحاب الاتجاه الوظيفي ، و خاصة رادكليف براون على أساس ان الافتراضات التي ترتكز عليها نظريتهم شديدة العمومية و غير المحدودة ، فهؤلاء العلماء قد افترضوا أن الأنشطة الاجتماعية المقننة أو العناصر الثقافية وظيفية بالنسبة للمجتمع بأسره وأن جميع هذه العناصر الثقافية و الاجتماعية تؤدي وظائف اجتماعية و أن هذه العناصر لا يمكن للمجتمع الاستغناء عنها .

و رأى ميرتون ان هذه الافتراضات غير صحيحة ولذلك فانه أقام نظريته على ثلاث فروض أساسية بديلة هي :

١. العناصر الاجتماعية أو الثقافية قد تكون وظيفية بالنسبة لمجموعات معينة وغير وظيفية Non functional بالنسبة لمجموعات غيرها ، و ضارة وظيفيا Dies-functional بالنسبة لمجموعات أخرى وعلى ذلك فلابد من تعديل فكرة أن أي عنصر اجتماعي أو ثقافي يكون وظيفيا بالنسبة للمجتمع بأسرة .

٢. أن نفس العنصر قد يكون له وظائف متعددة و نفس الوظيفة يمكن تحقيقها بواسطة عناصر مختلفة (البدائل الوظيفية) فمثلا الملابس التي يمكن ان تؤدي عدة وظائف مختلفة ، فهي تساعد على الوقاية من الطقس أو تكسب الفرد مكانة اجتماعية معينة أو يكون لها دور في تحديد جاذبية الشخصية ، و معنى ذلك ان هناك تنوعا في الوسائل التي يمكن ان تحقق هدفا وظيفيا معينا ، وقد استخدم ميرتون لذلك مفهوم (البدائل الوظيفية).

٣. يجب ان يحدد التحليل الوظيفي الوحدات الاجتماعية التي تخدمها العناصر الاجتماعية أو الثقافية ، ذلك أن بعض العناصر قد تكون ذات وظائف متعددة ، وقد تكون بعض نتائجها ضارة وظيفيا .

و يرى " دون مارتنديل " أن ميرتون قد أضاف الى التحليل الوظيفي إضافتين رئيسيتين هما :

أولا : أنه قدّم مفاهيم مهمة كـ **" المعوقات الوظيفية أو الأضرار الوظيفية** Dies-function و الذي يعني النتائج القابلة للملاحظة و التي تقلل من تكيف النسق الاجتماعي أو توافقه ، و أن كان إيميل دوركايم و راد كيف براون قد أشارا الى ذلك بصورة أو بأخرى في أعمالهما .

ثانيا : أنه ميّز بين نوعين من الوظيفة الاجتماعية : **الوظيفة الظاهرة Manifest function و الوظيفة الكامنة Latent function** و يقصد ميرتون بالوظيفة الظاهرة : هي تلك النتائج الموضوعية التي يمكن ملاحظتها و التي تسهم في الحفاظ على النسق و التي يقصدها المشاركون في النشاط .

أما الوظيفة الكامنة : فهي التي لم تكن مقصودة أو متوقعة.
مثال : دور الدّين في تحقيق التكامل الاجتماعي ، هذا الدور مثلما قرر دوركايم لم يكن مقصودا ، وعلى ذلك فان التكامل الاجتماعي يعتبر في هذه الحالة وظيفة كامنة للدين .

و أما اذا استخدم الدين عن قصد بواسطة الطبقة الحاكمة لتخدير الطبقات المحكومة و إخضاعها للنظام ، مثلما قرر مارك ، فان هذه النتائج تكون وظيفة ظاهرة للدين ، و جدير بالذكر أن ميرتون لم يستحدث مفهومي الوظيفة الظاهرة و الكامنة ، ولكنه استعارها من (فرويد) الذي استخدمها في التمييز بين المحتوى الظاهر (الشعوري) و المحتوى الكامن (اللاشعوري) للحلم ، مما يدل على تركيز ميرتون على الجوانب النفسية .

و يرى مارتنديل أن من أهم نماذج التحليل الوظيفي عند روبرت ميرتون تتمثل في دراسته عن البناء الاجتماعي و اللامعيارية ، ففهي هذه الدراسة طبق ميرتون نظريته الوظيفية في تحليل المصادر الاجتماعية و الثقافية للسلوك المنحرف ، و كان هدف ميرتون من هذه الدراسة أن يبين كيف يمارس البناء الاجتماعي ضغوطا محددة على أشخاص معينين في المجتمع تجعلهم يمارسون سلوكيات غير امتثالية بدلا من ممارستهم لسلوك امتثالي .

وقد بدأ ميرتون دراسته (نظريته) بمسلمة هي التالية : (أن الأبنية الاجتماعية و الثقافية تصوغ صفة المشروعية على أهداف معينة ، و علاوة على ذلك تحدد أساليب معينة مقبولة اجتماعيا لتحقيق تلك الأهداف) ، أي أن ميرتون ميز بين عنصرين رئيسيين فيما اسماه بالبناء الثقافي للمجتمع : الأهداف المحددة ثقافيا من جهة و الأساليب النظامية لتحقيق هذه الأهداف من جهة أخرى .

وفي المجتمع جيد التكامل نجد تكاملا و تناغما بين الأهداف و الأساليب ، فكل من الأهداف و الأساليب تجد تقبلا من أفراد المجتمع ككل ، كما أنها تكون ميسورة لهم جميعا ، و يحدث اللاتكامل في المجتمع عندما يكون هناك تأكيد على أحد الجانبين بدرجة لا تتناسب مع التأكيد على الجانب الآخر ، **وهذا ما يحدث في المجتمع الأمريكي** . فهناك في هذا المجتمع تأكيد على أهداف معينة ، مثل النجاح الفردي و جمع الثروة و ارتقاء السلم الاجتماعي دون تأكيد مماثل على الأساليب (الوسائل) النظامية و المشروعة لتحقيق هذه الأهداف ، فأساليب تحقيق هذه الأهداف غير متاحة للجميع في المجتمع .

وقد نشأ عن ذلك حالة من اللامعيارية (اللانظام) في المجتمع ، وذلك أنه لابد من أن تكون هناك درجة من التناسب بين هدف تحقيق النجاح و بين الفرص المشروعة للنجاح بحيث يحصل الأفراد على الإشباع الضروري الذي يساعد على تحقيق النسق الاجتماعي لوظائفه ، فاذا لم يتحقق ذلك فإن الوظيفة الاجتماعية تصاب بالخلل **و يحدث ما اسماه بالمعوقات الوظيفية .**

وقد قدّم ميرتون تصنيفا لأنماط استجابات الأفراد أو تكيفهم لذلك و التفاوت أو الانفصام بين الأهداف المرغوبة و المحددة ثقافيا (أي النجاح) و بين الأساليب المتاحة لتحقيق هذه الأهداف . وقد قرر أن هناك خمسة أنماط لتكيف الأفراد في المجتمع أول هذه الأنماط وظيفي ، أي يساعد على بقاء النسق الاجتماعي و الأربعة الآخرين ضارين وظيفيا (أو أنماط تكيف منحرفة) أي تهدد بقاء النسق ، وهذه الأنماط الخمسة هي :

١. **نمط الامتثال** : و يحدث هذا النمط من التكيف حين يتقبل الأفراد الأهداف الثقافية و يمتثلون لها وفي نفس الوقت يتقبلون الأساليب التي يحددها النظام الاجتماعي بوصفها أساليب مشروعة لتحقيق هذه الأهداف .

و مثال ذلك : تقبل الأفراد لهدف تحقيق النجاح و الحصول على دخل مرتفع وتقبلهم لاستكمال تعليمهم كأسلوب لتحقيق ذلك الهدف فإذا كانت فرصة التعليم متاحة لكل أو اغلبيه أفراد المجتمع فان حالة من الثبات أو التكامل سوف تسود المجتمع لان غالبية الناس سوف تتقبل الأهداف وأساليب تحقيقها في نفس الوقت أما اذا كان بالمجتمع تأكيد على الأهداف فقط دون إتاحة الأساليب اللازمة لتحقيقها لكل الناس فان احد الأنماط الأربعة الآتية من التكيف ألانحرافي يمكن ان تحدث .

٢. **نمط الابتداع** : و يرى ميرتون أن هذا النمط من التكيف هو اهم انماط التكيف ألانحرافي في المجتمع الامريكي . و يعني به أن نسبة كبيرة من الناس في المجتمع تتقبل أهداف النجاح التي تؤكد عليها الثقافة الأمريكية ولكنها تجد فرص تحقيق تلك الأهداف مغلقة أمامهم لان توزيع هذه الفرص غير متكافئ ، وفي هذه الحالة يرفضون أساليب مشروعة لتحقيق هذا الهدف و يسود هذا النوع من التكيف لدى الطبقات العاملة .

٣. **نمط الطقوسية** : يتمثل هذا النمط من التكيف في التخلي عن الأهداف الثقافية للنجاح الفردي و تحقيق الثروة و صعود السلم الاجتماعي أو التقليل من مستوى طموح الفرد حتى يصل الى درجة منخفضة يمكن معها إشباع هذا الطموح ، وفي نفس الوقت يظل الفرد ملتزما بطريقة شبه قهرية بالأساليب المشروعة لتحقيق الأهداف على الرغم من أنها لا تحقق له شيئا يذكر .

و يسود هذا النوع من التكيف لدى الطبقة الوسطى الدنيا ، مثل صغار الموظفين البيروقراطيين في الشركات و المصالح الحكومية ، و يفسر ميرتون وجود هذا النمط من التكيف بأنه يرجع الى أسلوب التنشئة الاجتماعية الصارم السائد في هذه الطبقة و الى الفرص المحددة للتقدم المتاحة لأعضاء هذه الطبقة .

٤. **الانسحابية** : وهو من أقل الأنماط شيوعا في المجتمع الأمريكي و الفرد الذي يلجأ إلى هذا النمط الانسحابي يعيش في المجتمع ، ولكنه لا يكون جزءا منه ، بمعنى انه لا يشارك في الاتفاق الجماعي على القيم المجتمعية و الانسحابي يتخلى عن كل الأهداف و الأساليب التي يحددها النسق . ومن أمثلة هذا النمط من التكيف الانحرافي حالات الجنون و التشرد و إدمان المخدرات و الخمور ، و يرى ميرتون أن هذا النوع من الأفراد لا يقبل الأساليب الإبداعية (غير المشروعة) لتحقيق الأهداف وفي نفس الوقت لا تتاح له الفرصة لاستخدام الأساليب المشروعة لتحقيقها ولا يكون أمامه من مفر سوى ان ينسحب من المجتمع الى عالمه الخاص (الجنون أو السكر أو الأوهام) ، وهكذا يحل هذا الفرد الصراع النفسي عن طريق الهروب الكامل من المجتمع .

٥. **نمط التمرد** : يتسم هذا النمط من التكيف بإدانة (و ليس مجرد رفض كما هو الحال في النمط السابق) كل الأهداف الثقافية للنجاح و الالتزام بالأساليب النظامية لتحقيقها ، أي اذا كان النمط السابق يتسم برفض الأهداف و الأساليب رفضا سلبيا و الهروب من المجتمع فإن هذا النمط يتسم بالرفض الإيجابي و السعي الى استبدال البناء الاجتماعي القائم ببناء أخر يضم معايير ثقافية مختلفة للنجاح و فرصا أخرى لتحقيقه .

من العرض السابق لأهم إسهامات ميرتون يتضح أنه يرتكز على نفس المسلمات الأساسية التي يرتكز عليها غيره من الوظيفيين و إن كان يختلف عنهم في بعض الافتراضات الثانوية . فهو يسلم دون ما جدال بأن أساس البناء الاجتماعي هو القيم و المعايير السلوكية ، سواء اتخذت في شكل أهداف محددة ثقافيا أو اتخذت شكل أساليب نظامية لتحقيق الأهداف

كما أنه استبعد البعد التاريخي في تحليله الاجتماعي ، و دعا أيضا الى التحليل الجزئي للظاهرات الاجتماعية باستخدام النظريات متوسطة المدى بدلا من التحليل الشمولي للمجتمع . كما أنه أغفل المتغيرات المادية في تفسيره لمنشأ التفاوت بين درجة التأكيد على أهداف النجاح في المجتمع الرأسمالي من جهة و درجة التأكيد على أساليب تحقيق هذه الأهداف من جهة أخرى .

و يعلق (أيان تايلور و زملاؤه) على إغفال ميرتون الاهتمام بنمط التكيف ألامتثالي بقولهم أن ذلك لا يدعو الى الدهشة ، فبغض النظر عن حقيقة صعوبة تحديد أمثلة واقعية للأشخاص الممتثلين في المجتمع الأمريكي ، لأن أي شخص يمتثل لأهداف ذلك المجتمع لابد أن يكون بالضرورة أيضا إبداعيا لأنه سيفتش دائما عن أساليب جديدة لتحقيق النجاح ، فإن البحث عن مصادر الامتثال كان سيوقع ميرتون في مشكلة عويصة وهي بحث مشروعية السلطة في المجتمع الأمريكي .

كما أن ذلك كان من شأنه أيضا ان يضطره الى مواجهة حقيقة اجتماعية خطيرة تتمثل في أن عدد الأشخاص الممتثلين في المجتمع الأمريكي قليل جدا حتى بين أولئك الذين لا توصد أمامهم فرص تحقيق النجاح بحكم المراكز الاجتماعية التي يشغلونها ولكي يفسر ميرتون ذلك كان سيضطر إلى الخوض في مسائل أعمق من مجرد نقده السطحي لحالة المجتمع اللامعيارية في المجتمع الأمريكي ، أي أنه كان سيخوض في المسائل السياسية و الاقتصادية التي يرغب أساسا (كوظيفي) في تجنبها .

إلا أن ميرتون كان الى حد ما ناقدا للمجتمع الأمريكي و يختلف عن بارسونز وغيره من الوظيفيين في أنه لم يتبنَّ بشكل مطلق فكرة وجود الاتفاق الجمعي في المجتمع ، لقد أدرك ميرتون وجود تناقضات في النسق الاجتماعي الأمريكي ، و لكن التناقضات التي أبرزها ليست ذات طابع مادي وهي جزء من طبيعة النسق حسب رأيه .

فهناك عدم تكافؤ للفرص المتاحة للمجموعات المختلفة لتحقيق أهداف النجاح في المجتمع الأمريكي ، ولكن عدم التكافؤ هذا يرجع في رأيه الى العناصر الكامنة في الثقافة الأمريكية ، وهكذا لا يقدم ميرتون أي تفسير بنائي لوجود عدم التكافؤ في الفرص في المجتمع أو لوجود مثل هذا المناخ الثقافي و الأخلاقي ، وهكذا يشبه ميرتون من يفسر الانحلال الخلقي للناس في فترة ما بتخليهم عن التمسك بالمبادئ الأخلاقية ، أي انه يفسر ما هو ثقافي بما هو ثقافي وليس ذلك بتفسير .

نقد ميرتون :

١. سلم ميرتون بالمجتمع القائم مع أنه يفترض أن ينظر الى التشكيلات البنائية الثقافية من خارجها ، فهذه مهمة عالم الاجتماع .

٢. يرى إيان تايلور بأن ميرتون اقتصر على وصف الواقع الأمريكي و نقد بعض جوانبه الثقافية دون ان يمس جوهر العلاقات فيه ، و بذلك يقف ميرتون عند حدود الدعوة الإصلاحية الجزئية للمجتمع ، ولم يستمر لطرح البديل و تغيير جذري في المجتمع .

٣. أن المشكلة في المجتمع الأمريكي ليست ثقافية فقط ، بل لان نظام تقسيم العمل لا يقوم على الكفاءة بل على المحسوبية ، و يعني أن البناء الاجتماعي قائم على عدم المساواة (المُلكِية الوراثية) التي بسببها لا ينطلق أفراد المجتمع عند مولدهم من نفس نقطة الانطلاق .

٤. أن نظرية ميرتون قد تم تطبيقها في المجتمع الأمريكي لمساعدة أبناء الطبقات الفقيرة لتحقيق النجاح ، لكن بعد عملهم في بعض المؤسسات فشلوا بسبب فقدانهم المهارات الأساسية للمهن التي عملوا بها ، لذا فقد تم الاستغناء عنهم بعد توظيفهم ، و تبدو هذه المحاولة – توظيف أبناء الطبقات الدنيا – مجرد تضليل حقيقي ، فالفرص ترتبط ارتباطا وثيقا بكيفية توزيع الثروة بين مجموعات المجتمع .

نقد النظرية البنائية الوظيفية :

١. بالنسبة لبارسونز وهو من أشهر ممثلي النظرية البنائية الوظيفية فكانت نظريته عبارة عن مجموعة من تلاعب بالمفاهيم و الألفاظ المعقدة ليبدو عميقا في تحليله ، رغم أن هذا التحليل يفتقد للموضوعية .

٢. كانت نظرية بارسونز عبارة عن تبرير أخلاقي لاستمرارية ذوي السلطة في المجتمع في التحكم فيه و يضفي على حكمهم صفة المشروعية .

٣. ان تأكيد بارسونز على فكرة التوازن عن طريق الخضوع للمعايير السائدة و المشتركة إنما هو تحذير من أي تمرد أو محاولة لتغيير الأوضاع القائمة .

٤. ينتقد عالم الاجتماع الروسي (بوبوف) النظرية الوظيفية على أساس أنها تصور المجتمع على انه نظام ابدي لا يعرف التطور و الانتقال الى وضع جديد ، فالنظرية الوظيفية ترفض التغير الاجتماعي .

النـظـرية الصراعيـة الكلاسيكية (كارل ماركس)

نظرة الصراعية للمجتمع :

تنظر نظرية الصراع الى المجتمع كنسق من جماعات متصارعة تمثل الكفاح من أجل الحصول على منابع الحاجات المادية الأساسية و العوامل القابعة وراء هذا الصراع تتضمن مشاكل التنظيم الاجتماعي نفسه ، مثل : تغير السكان و أنساق تقسيم العمل أو مشاكل الطبيعة البشرية ذاتها مثل سمات الشخصية و الغرائز البشرية .

هذا النموذج على ما سنرى يتخذ نمطين في التفسير : أما طبيعي وأما نسقي (اجتماعي) و كل منهما تطور في نفس الوقت ، مثل النظرية العضوية ، و نشأ و نما الى حد كبير في ظل فلسفة تقاليد عصر التنوير .

على أي حال فنظرية الصراع نمّاها جماعة من المفكرين الذين كانت خلفيتهم و خبراتهم الاجتماعية – تختلف كلية عن جماعة النظريات العضوية الوظيفية الذين كانت اهتماماتهم تنصب على الحاجات الإنسانية و التغير الاجتماعي اكثر من اهتمامهم بمشاكل النسق أو مشاكل التنظيم الاجتماعي ، بل كانوا يحاولون إعادة النظام الاجتماعي ، بينما بالنسبة لمنظري نموذج الصراع كان يتميز ذلك النموذج بأساسه الأيديولوجي ، وهكذا أصبحت النظرية الاجتماعية عندهم عبارة عن ردة فعل للمشاكل الاجتماعية كما يراها هؤلاء المفكرون .

الظروف الاجتماعية لمنظري الصراعية :

عند دراسة نظرية الصراع سنجد أنها تشمل مفكرين ابعد ما يكونوا عن التجانس فهم مختلفون كل الاختلاف ، ومع ذلك فان هؤلاء المنظرين يجمعهم متشابهات عامة معينة ، فأصولهم الاجتماعية تميل الى الانتماء الى الطبقة الدنيا ، أو الشريحة السفلى من الطبقة الوسطى ، اكثر منها الى الطبقة العليا من الوسطى أو العليا ، ولقد تلقى معظمهم نوعا من تعليم عصر التنوير في مواضع معينة مثل الكلاسيكيات ، و الفلسفة و التاريخ و القانون و الاقتصاد ، و كان ينصب اهتمامهم على السياسة و النشاط العمالي ، ولقد عانو من وطأة الضغط السياسي و الصراع في مجتمعاتهم ، ولقد نشأوا في ظل فلسفات و مثل عصر التنوير من الطبيعية و المثالية و التطور و المذاهب العقلية و النفعية و الاشتراكية .

و تجدر الإشارة الى ملاحظة هامة وهي أن نظريات الصراع ليست وحيدة النمط في التطرف الأيديولوجي ، إذ نرى بينها أشكال متعددة من النماذج فنظريات الصراع تميل الى الاختلاف في الأيديولوجية طبقا للأنماط الهامة التي تستخدمها في التفسير ، ففكرة المشاكل الاجتماعية عند ماركس و بارك هي اكثر تطرفا في التطبيق ، بينما النظرية الطبيعية و بصفة خاصة التي أنشاها باريتو Pareto اكثر محافظة في نغمتها و هدفها ، و مع ذلك فكل من النمطين يؤكد على الصراع و التغير في صياغتها لمفاهيم المجتمع .

يمكن شرح الاختلافات السابقة بين نظريات الصراع سواء من ناحية التطرف الأيديولوجي أو من ناحية العوامل المستخدمة في التفسير و ذلك في النقاط التالية :

١- طبقا للنظر الى المشاكل الاجتماعية ، يصبح الصراع من اجل إشباع الحاجات يؤدي الى الصراع و التغير ، بينما الدراسة التي تتخذ العوامل الطبيعية كأداة لتفسير نفس العمليات تفترض انه هناك خصائص معينة منغرسة في الطبيعة البشرية (رواسب أو سمات) تؤدي للصراع .

٢- فمثلا يعتبر ماركس وبارك ان الظروف الاقتصادية و البيئية تفسر اتجاه سلوك الصراع بينما باريتو و فبلن يعتبران ان الأفكار و القيم اكثر فاعلية في تفسير نفس العمليات أي التغير و الصراع ، مما يفصح بوضوح عن ان نظرة باتو و فبلن نظرة معيارية .

على أي حال كلن من النمطين لنظريات الصراع نسقي و تطوري و طبيعي ، مؤسسة على نظرة للمجتمع تراه و أنه قائم على نوع من التوازن سواء كان مؤقتا أو غير مستقر .

و هكذا تقدم نظرية الصراع نموذجا نسقيا للمجتمع و تشبه النظرية العضوية الوظيفية في بناء شروحا و تفسيراتها إلا أنها تختلف عنها في نظرتها الى المجتمع على انه مؤسس على المنافسة و السيادة و الصراع بدلا من الاتفاق و التكامل عند النظريات العضوية و البنائية الوظيفية ، كما ان نظريات الصراع تختلف فيما بينها فيما تركز عليه من عوامل اجتماعية ذات وحدات كبرى Macroscopic أو عوامل طبيعية ذات وحدات صغرى Microscopic و تفترض أنها الأسس الهامة لعمليات التغير و الصراع ، و أخيرا يمكن القول ان نظريات الصراع تختلف بشدة عن النظريات العضوية في تركيزها بصفة عامة على الحاجات الإنسانية اكثر منها على الأولويات الاجتماعية أو النسقية ، أي ان نظريات الصراع تركز على الحاجات الإنسانية بينما النظريات العضوية و الوظيفية تركز على حاجات النسق ، وهكذا بينما قد يتشابه بناء هذه النظريات فان المضمون الأيديولوجي يختلف تماما .

كارل ماركس ١٨١٧-١٨٨٣م :

ولد ماركس في ألمانيا ، وهو ابن محامي يهودي ، و درس التاريخ و الفلسفة و القانون وشارك في الصحافة و السياسة المتطرفة ، و شارك في الاتحاد الدولي للعمال و كذلك مجلس المنظمة الشيوعية و كان سلوكه عبارة عن رد فعل للضغط السياسي و الاقتصادي الحاصل في ألمانيا .

أهداف كارل ماركس :

كان هدف ماركس هو تحليل العلاقة بين البناء التحتي (الاقتصاد) و بين الأبنية العليا (الفرعية) وهي بقية نظم المجتمع ، و ذلك على أسس من الاستمرارية و التغير خلال التطور التاريخي للمجتمع ، مثل هذه العلاقة المتبادلة كانت الأساس لأفكار ماركس وهو يفترض أن الإنسان تحت تأثير التصنيع و الاستغلال الرأسمالي تحول من رجل طبيعي الى رجل مغترب Alienated Man .

ومن ثم فالهدف الأيديولوجي لماركس هو إعادة تحويل المجتمع الى حالة يوجد فيها الرجل الطبيعي بدلا من الرجل المغترب ، و ذلك بإعادة تركيب البيئة الطبيعية النظرية المادية التاريخية و الاجتماعية ، و كرد فعل للضغط السياسي و الاقتصادي في عصره نما نظرية جدلية لتوجيه التغير في المجتمع مع التركيز بصفة خاصة على البناءات الفرعية الاقتصادية ، و لذلك سميت بالمادية الجدلية التاريخية .

النظرية المادية التاريخية :

لقد كان ماركس متأثرا بشدة بفلسفة هيجل و افترض ماركس أن ديالكتيك هيجل هو أوسع مذهب من مذاهب التطور و اقرها مضمونا و أشدها عمقا .

وفي الحقيقة لا يمكن فهم نظرية ماركس إلا اذا عرضنا بإيجاز لنظرية هيجل في هذا الصدد ، أراد هيجل ان يفسر التطور أو الصيرورة من الناحية الصورية المجردة **و أراد أن يستخدم في هذا التفسير المنهج الجدلي أو التحليل الديالكتيكي** ، وفي هذا الصدد يقول **(أن كل فكرة تحمل في طياتها عناصر نقيضها)** و يطبق هذه الفكرة على الوجود و المجتمع و اجتماع النقيضين على هذا النحو هو الذي يفسر ظاهرة التغير ، فلو لم تكن عناصر النقيضين موجودة في الشيء على حالته الأصلية لما تصورنا تغيره من حالة الى أخرى .

هذا المنهج (المثالي) استخدمه هيجل ليكشف كيف تتمم العملية التاريخية نفسها في المجتمع ، عند هيجل الروح هي المحدد للتغير ، فاحل ماركس محلها الظروف المادية بمعنى العامل الاقتصادي ، نزعة المادية هي الجزء المقابل لنزعة المثالية عند هيجل .

لقد كانت فلسفة هيجل تعالج تطور العقل و الأفكار ، كانت مثالية تجعل تطور الطبيعة و الإنسان و علاقات الناس الاجتماعية ناتجة عن تطور العقل ، وقد احتفظ ماركس بفكرة هيجل عن حركة التطور الدائم أي منهجه الديالكتيكي ، أي نظرية التطور .

ولكن ماركس طرح وجهة النظر المثالية جانبا ، و اعتبر أنه ليس تطور العقل هو الذي يفسر الطبيعة بل ان الأمر على العكس ، لقد كان هيجل ان حركة الفكر ، هذه الحركة التي يطلق عليها **(اسم الفكرة)** هي الصانع للواقع بينما ماركس يرى حركة الفكر ليست إلا انعكاسا لحركة المادة منقولة الى فكر الإنسان و متحولة فيه .

فالحركة عند ماركس شكل وجود المادة . فمثلا ذوبان الثلج وتحوله الى ماء هذه الحركة من الجامد الى السائل أعطت العقل فكرة ان الثلج يذوب بالحرارة ، فكان كل المعاني و الأفكار التي يحتويها العقل الإنساني هي من حركة المادة في الطبيعة .

و اعتبر ماركس انه لم يوجد ولا يمكن ان يوجد في أي مكان مادة بدون حركة ولا حركة بدون مادة ، ومن ثم اعتبر ماركس انه بما ان إنتاج العقل الإنساني هو في أخر التحليل هو نتاج الطبيعة ، وهكذا لا يوجد في رأي ماركس إلا المادة أما الأفكار و الوعي فهي مظاهر لاحقة و ناتجة عن تحول حركة المادة في العقل الى أفكار و وعي .

وهكذا اقتنع ماركس بأنه يجب علم الاجتماع منسجما مع الأساس المادي و إعادة بناؤه استنادا على هذا الأساس . فالمادية هي لب النظرية الماركسية . ولكن ماركس – لم يتوقف على حد تعبيره – عند مادية القرن ١٩م ، إذ اعتبر ان المادية القديمة كانت تتوقف عن معرفة الطبيعة وهو انتقل بها الى معرفة المجتمع البشري . وبذلك اعتبر ماركس انه بتوسيع المادية لتشمل الظواهر الاجتماعية قضى على عيوب النظريات التاريخية السابقة له ، إذ لم تكن تلك النظريات في راية تأخذ في اعتبارها غير الدوافع الفكرية لنشاط الناس التاريخي ، دون ان تبحث عما يولد هذه الدوافع و دون ان تدرك القوانين الموضوعية التي تحكم و تطور نظام العلاقات الاجتماعية ، و دون أن نرى جذور هذه العلاقات في درجة تطور الإنتاج المادي .

فالمادية هي لب النظرية الماركسية ، فهي تنتمي الى نزعة الحتمية الاقتصادية التي تذهب الى ان العامل الاقتصادي هو المحدد الأساسي لبناء المجتمع و تطوره ، و انها أوضحت بداية ظهور جماعات المجتمع الاقتصادية وتطورها و انهيارها ، وذلك عن طريق تحليلها لمجموعة الاتجاهات المتناقضة و ردها الى ظروف المعيشة و الإنتاج لمختلف جميع طبقات المجتمع ، أي أن الأسلوب الاقتصادي السائد في الإنتاج و التبادل يشكل في كل حقبة تاريخية معينة مع التنظيم الاجتماعي المنبثق بالضرورة عنه ، الأساس الذي يوم عليه تاريخ هذه الحقبة السياسي و الفكري ، و الذي يمكن بالاعتماد عليه فقط تفسير التاريخ ، فالماركسية تعتبر ان مرحلة النمو التكنولوجي تحدد أسلوب الإنتاج و العلاقات و النظم التي تكوّن النسق الاقتصادي ، هذه المجموعة من العلاقات بدورها هي المحدد الرئيسي لكل النظام الاجتماعي ، ولكن في راي ماركس ان النظامين الاجتماعي و الاقتصادي لا يتطابقا لان النظام الاقتصادي يتغير نتيجة النمو التكنولوجي ، و النظام الاجتماعي باقٍ على ما هو عليه فقد أنشأ أيديولوجيته و أصبحت له مصالح مختلفة ، ومن ثم يقاوم التغير ، وهكذا يقع التناقض بين النظام القديم ، و بين التصورات الفكرية التي انبعثت من تغير قوى المجتمع المنتجة و عدلت مفاهيم الناس عن أدوارهم فتقع الثورة .

و هكذا طبقا لهذه النظرية التي يسميها الماركسيون نظرية الصراع الطبقي افترض ماركس ان كل تاريخ البشرية هو تاريخ للصراع بين الطبقات ، بين الطبقة المستغلة و المستغلة ، ذلك ان ماركس يفترض انه في مرحلة الإنتاج الرأسمالي حيث صاحب رأس المال يملك وسائل الإنتاج و يحقق أرباحا طائلة من فائض قيمة عمل العمال ، فصاحب رأس المال هذا يأخذ النصيب الأكبر من الربح ولا يعطي العامل إلا ما يقيم حياته .

اذا المشكلة كلها عند ماركس تتلخص في عدم عدالة توزيع عائد الإنتاج بين صاحب راس المال و العمال .

اذ ان الإنتاج بذاته لا يقوم بعملية التوزيع ولكن القائم بعملية التوزيع هو صاحب راس المال ، ومن ثم فعدالة التوزيع أو عدمها هي فكرة أخلاقية في تصورات الرجل الرأسمالي الذي يملك و يؤدي دور الموزع في النظام الرأسمالي الذي أعطاه هذا الحق . ومن ثم يتضح بجلاء ان مفهوم عدالة التوزيع أو عدمها هي علاقة اجتماعية ذات طابع اقتصادي أساسها لا مادي . وذلك عكس ما ذهب اليه ماركس ، ومن ثم فان التغير في العلاقات الإنتاجية لم يؤدِ الى تغير في البناء الأعلى .

و يلاحظ أن عدم عدالة التوزيع هي الفكرة المحورية في النظرية الماركسية ، وهذه الفكرة كما بينا نابعة من سلبية أخلاق البرجوازيين في عصره ، ولكن تعنت ماركس المادي أو أيديولوجيته أعمته عن هذه الحقيقة ، و افترض أن عدم عدالة التوزيع راجعة لان صاحب راس المال يملك وسائل الإنتاج .

و اعتبر الملكية الخاصة هي سبب استغلال أصحاب رؤوس الأموال لطبقة العمال ، و بذلك أراد أن يمحو هذه الملكية الخاصة و يحولها الى ملكية جمعية ، ومن أجل هذا افترض أن هناك علاقة وثيقة بين النظامين الاقتصادي و السياسي حتى جعلهما كوجهي العملة لا يمكن فصلهما .

محتوى المقرر

من التمهيدية الى ٨

موفقين ان شاء الله

IbtiHAlinO